خيانات
الحزب الشيوعي السوري



تأليف :
محمد علي الزرقا
الياس مرقص

خيـانات
الحزب الشـيوعى السـورى

تاليف

محمد على الزرقا

الياس مرقص

مقــدمة

ليست دراسة تاريخ الحزب الشيوعي عملا سهلا فالمعروف انه لم تصدر أية محاولة جدية من هــذا النوع حتى الآن. فبامكاننا ان نؤكد اذن ، انه لم ينشر حتى الآن ، اى بحث جدي عن تاريخ الحزب وان قيادة الحزب نفسها لم تصدر اية محاولة ولو جزئية ، عن هــذا الموضوع ، بل تحاشت على الدوام « النظر الى وراء » .

هذا أمر يبعث بحد ذاته ، على الدهشة والاستغراب . اذ ان الاحزاب الشيوعية في العالم تعمل على نشر وثائق تاريخها ، ولا سيما مؤلفات قادتها أما في سوريا ، فقد ظلت أهم «مؤلفات» خالد بكداش محرمة على اعضاء الحزب واصدقائه وعلى جماهير العمال والفلاحين. مثلا ، ان جميع أعضاء الحزب ـ باستثناء بعض اعضاء قيادته القدامى ـ لم يسمعوا بمؤلف خالد بكداش « العرب وابحاث ستالين في المسألة الوطنية » (« طريق الاستقلال » الصادر عام ١٩٣٩) ، رغم أهمية هذه الدراسة من الوجهتين النظرية والسياسية على السواء أما التقرير الشهير « لاجل النضال بنجاح في سبيل السلم والاستقلال الوطني والديمقراطية» الصادر في العهد السري عام ١٩٥١ ، فقد أعيد طبعه سنة ١٩٥٥ ولكن بعد أن جرد من أهم واخطر ماجاء فيه وبعنوان جديد« حزب العمال والفلاحين » .

واذا ما استشهد أحيانا «مفكرو» زمرة خالد بكداش «

ببعض اقوال قديمة لرئيسهم ،فذلك يكون فى معرض الدفاع عن أفكاره وتبرير مواقفه اذأن غرض هؤلاء الاول والاخير ، هو اقامة الدليل ، على أن خالدبكداش ، كان يؤمن بالقومية العربية ويهاجم الصهيونية ،منذزمن بعيد ، وان خطة خالد بكداش وزمرته ، كانتصحيحةعلى الدوام

**

وهذه الدراسة التى نقدمهاللقارىء العربى ليست دراسة كاملة ـ فالدراسة التفصيلية الكاملة تحتاج الى مجلدات ـ ولكنها على كل حال ، تتناول جميع القضايا الرئيسية في مختلف مراحل تاريخ الحزب ٠وهي تعتمد بشكل عام على المستندات الحزبية ، مؤلفات ،خالد بكالدش ومقالات صحف الحزب الرسمية ٠

الفصـــل الاول

المرحــلة الاولى : « الفجــر الاحمر »

(١٩٢٤ ـ ١٩٣٦)

متى تأسس الحزب الشيوعي في ســـوريا ولبنان؟ من هـم مؤسسو الحزب ؟ المؤتمر الاول للحزب • اللجنة المركزية الاولى في الحزب • موقف الحزب من الثورة السورية الكبرى • اعتقال اللجنـة المركزية دخول خالد بكداش الحزب انتصار خالد بكداش على مناوئيه • سياسـة الحزب في فترة ١٩٣١ ـ ١٩٣٥ • محاربة الدســـتور والجمعيـة التأسيسية •

ان دراسة الخطوات الاولى في تاريخ الحزب تطرح مسائل عديدة: أهمها مســألة تأسيس الحـزب ومســألة انتصـــار قيادة خالد بكداش

ومن الامور المتعارف عليها ان زمرة خالد بكداش لم تفعل شيئا لتسهل دراسة هــذه المسائل ، بل على العكس عملت على زيادتها غموضا وتشويشا لذلك فنحن مضطرون في مثل هذه الدراسة المقتضبة الى الاكتفاء بنظرة سريعة عن هذه المرحلة لابراز أهم ما فيها •

**

يعتقد كثير من الناس ان الحزب الشيوعي موجود في بلادنا منذ ســـنة ١٩٣٠ • والمســؤولون الحزبيو ن يبذلون جهدهم لتثبيت هذا الاعتقاد ، كي يربطوا نشوء الحزب بظهور خالد بكداش وكي يسدلوا الستار على بعض الاشياء غير السارة • وهــذا هو مغزى ماورد في عدد «الصرخة» اللبنانية الصادر بتاريخ ١٩ـ٩ ـ ١٩٥٤

ولكن هذا القول غير صحيح، تدحضه المصادر الحزبية القديمة• فقد جاء في العدد الاول من جريدة «صوت الشعب» الصادر في ١٥ أيار ١٩٣٧

« ان صوت الشعب هي صوتك ، صوتك الرنان الداوي منذ ١٧ عاما »

وهذا يعني أن الحزب موجود منذ سنة ١٩٢٠ ! ولكن هذا الكلام أيضا يفتقر الى الحجج والبراهين ولسنا ندري كيف تبرره جريدة صوت الشعب . فهل يعتبر شاوي وبكداش ان حزب « سبارتاكوس » التقدمي الارمني (١) هو الحزب الشيوعي في سوريا ولبنان ؟

ومهما كان الامر فهذا القول يتعارض مع ماجاء في تقرير نقولا شاوي سنة ١٩٤٤ حول « استقلال الحزبين الشيوعيين السوري واللبناني حيث تحدث عن « حزبنا الشيوعي خلال العشرين سنة الاخيرة » (ص٦) ، كما يتعارض مع الخطاب الذي القاه خالد بكداش باللغة الفرنسية ، في قاعة فندق نورماندي بتاريخ ٢٧ شباط ١٩٤٤ والذي نشر بعنوان « الميثاق الوطني للحزب الشيوعي في سوريا ولبنان » مطبوعات دار صوت الشعب باللغة الفرنسية وقد جاء في هذا الخطاب ان الحزب له خمسة عشر عاما من العمر (ص٢٦) ، اي أنه موجود منذ عام ١٩٢٩ . ويتعارض أيضا مع الخطاب الذي القاه خالد بكداش في مكتب الحزب بدمشق بتاريخ ٤ نيسان ١٩٣٨ ، حيث قال

« وليعذرنا اخواننا الكتلويون اذا قلنا لهم ان حزبنا وجد قبل أن توجد الكتلة الوطنية كهيئة سياسية فقد نشأت الحركة

---

(١) تأسس هذا الحزب في سنة ١٩٢٠ على يد ارتين مادويان وآخرين وقد استعار اسمه سبارتاكوس (وهو اسم عبد ثائر ومصارع شهير في تاريخ روما) عن عصبة سبارتاكوس الالمانية (١٩١٦-١٩١٨) التي أصبحت في سنة ١٩١٨ نواة الحزب الشيوعي الالماني ولم يكن مادويان يتصور آنذاك الموقف الذي سوف يتخذه ستالين من روزا لوكسمبورغ زعيمة عصبة سبارتاكوس الالمانية . . (المؤلفان)

الشيوعية في بلادنا منذ عام ١٩٢٤ » (صوت الشعب ، العدد ١٣٧ ٩ نيسان ١٩٣٨)

وهذه المتناقضات بحد ذاتها تبعث على الدهشة والاستغراب. فهل يجهل قادة الحزب تاريخ نشوء الحركة الشيوعية وتأسيس الحزب الشيوعي ؟؟ أما القول بأن «الحزب الشيوعي السوري» تأسس في سنة ١٩٣٠ فهو قول مرفوض أصلا لان الحزب تنظيم واحد في سوريا ولبنان. ومن المستحيل ربط تأسيسه بخالد بكداش .

أجل ! ان الحزب الشيوعي أقدم من الكتلة الوطنية كما يقول خالد بكداش فقد تأسس في لبنان سنة ١٩٢٤ وكان اول من ساهم في تأسيسه يوسف يزبك وفؤاد شمالي ونفر قليل بحضور جوزيف برجيه مندوبا عن الاممية (الكومنترون)

ونشأت خلايا الحزب الاولى في بيروت وبكفيا والشياح وزحلة والشوير والخنشارة وكان اول عمل قام به الحزب الشيوعي احتفاله بأول آيار ١٩٢٥ في سينما كورسال ببيروت .

وفي السنة ذاتها أصدر فؤاد شمالي جريدة « الانسانية » ، وهي أول جريدة شيوعية في البلاد السورية - اللبنانية وصدر منها خمسة أعداد فقط ، ثم عطلتها السلطات

وفي هذه السنة أيضا اعيد تنظيم الحزب فقد انضم اليه أرتين مادويان وأعضاء حزب سبارتاكوس الارمني الذي كان يرأسه مادويان وتألفت لجنة مركزية مؤقتة من خمسة اعضاء: الياهو تيبر اليهودي الذي قدم من فلسطين ، سكرتيرا عاما ، وارتين مادويان ، امين صندوق الحزب ، وهيكازون بوبادجيان ، ويوسف يزبك ، وفؤاد الشمالي

وفي تموز ١٩٢٥ ، حصلت مظاهرة للمستأجرين في ساحة البرج ببيروت واصطدمت بالشرطة فسقط عدد من القتلى

والجرحى • وبدأ الحزب يطبع نشراته على الجيلاتين ويوزعها على فروعه •

وانعقد المؤتمر الوطني الاول للحزب في بيروت بتاريخ ١٠ كانون الاول ١٩٢٥ ، وصدرت وثائقه باللغات العربية والفرنسية والارمنية - وانتخب المؤتمر لجنة مركزية مؤلفة من ٧ اعضاء بينهم ارتين مادويان وهيكازون بو...سان ويوسف يزبك وفؤاد شمالي وايلياهو تيبر الذى انتخب سكرتيرا عاما للجنة المركزية •

**

وفي سنة ١٩٢٦ ، اعتقلت اللجنة المركزية ، وأحيلت الى المحكمة العسكرية بتهمة تحريض الجيش والشعب على العصيان • وأبعد ايليا هوتيبر وزوبابند الى فلسطين ونفى القادة الآخرون الى ارواد والقدموس والرقة حيث قضوا سنتين •

**

واطلق سراح المعتقلين في سنة ١٩٢٨ ، وعاد الحزب الشيوعي الى العمل من جديد • وكان نشاطه يتركز على تأسيس منظمات جديدة واصدار بعض النشرات والكراسات وأصدر في تلك الفترة جريدة أسماها الفجر الاحمر • •

وانتقل الحزب الى دمشق حيث كان أول المنضمين اليه احمد طاطه وفوزى الزعيم ورشاد عيسى وخالد بكداش قوطوش

وكان أهم ما يميز تاريخ الحزب في المرحلة الجديدة (١٩٢٨ - ١٩٣٦) هو صراع حول القيادة الا ان هذا الصراع ، رغم الفترة الطويلة التي استغرقها ، لم يخلف اى

أثر كتابي نستطيع من خلاله أن نتبين المقـومات الفـكرية أو السياسية أو التنظيمية التي كان يدور حولها أو أن الآثار الكتابية قد أعدمت . وهكذا يتعذر على المؤرخ العلمي أن يحكم على حقيقة هـذا الصراع ومـدى الأثر الشخصي فيه .

والمعروف أن هذا الصراع قد أسفر في سنة ١٩٣٢ عن انتصار زمرة خـالد بكـداش - أرتين مادويان - رفيق رضا .

**

وأصبح خالد بكداش قوطرش زعيم الحزب

فما هي السياسة التي سار عليها الحزب في ظل القيـادة البكداشـية في فترة ١٩٣٢ - ١٩٣٥ ؟ ماهي الحوادث البارزة في تلك الفترة ؟

لقـد كان الحزب سريا ... ويمـكن القول أن خالد بكداش قد حكم بالاعدام على الوثائق التي قد تدينه . وتصـور أنه حقق رغبته ... الى أن تكلم رفيـق رضا نفسه عضو قيـادة الحزب منذ عام ١٩٣٢ .

اليكم ما يقوله رفيق رضـا (رأفت) عن تلك الفترة :

« لقـد شـهدت أولا في عام ١٩٣١ - ١٩٣٢ انتفاضة سورية العربية الباسلة على المستعمرين الفرنسـيين يوم أرادوا تكبيـل الدستور الذي سنته الجمعيـة التأسـيسية آنذاك وقـد أراد المفوض السـامي أن يدخل في صلبه مادة تجعـل منـه الحاكم المسيطر على مقـدرات سـورية فتكون له الكلمة الاولى في تعطيل أحكامه وثارت ثائرة البـلاد على فرنسا وضغط الشعب على نوابه

ليرفضوا طلب المندوب السامي وسقط الشهداء في شوارع دمشق وحمص وحماه وحلب ولم يجد المفوض السامي الفرنسي بدا من تعطيل الدستور وحل الجمعية التأسيسية وعندئذ اشتدت مقاومة الشعب وعمت تظاهراته الوطنية جميع الاحياء والساحات والشوارع استنكارا لموقف الاستعمار الفرنسي

وفي هذا الجو الوطني اللاهب وفي الوقت الذي استباح فيه الفرنسيون كرامة الامة وانتهكوا قدسية ارادتها كانت قيادة الحزب الشيوعي في سورية ولبنان تنادي في نشراتها وبما كانت تخطه أيدي أعضاء الحزب على جدران شوارع المدن السورية وحتى على جدران البرلمان السوري نفسه

« فليسقط الدستور ولتسقط الجمعية التاسيسية الخائنة »

بهذه الشعارات وبهذه النداءات المجرمة التي كانت تقوم باجراءاتها فرنسا الاستعمارية كانت تنادي قيادة الحزب في سورية ولبنان ، وكانت فضيحة وطنية كبرى اهتز لها قلب الشعب السوري وارسل اللعنات على رؤوس قائليها والداعين اليها » (بيان رفيق رضا الصادر في جريدة الجماهير ، العدد ٦٧ ؛ تاريخ ١٣ تموز ١٩٥٩) .

ويعود رفيق رضا مرة أخرى الى هذا الموضوع في الكتاب المفتوح الذي وجهه الى القيادة المركزية للحزب الشيوعي في سورية ولبنان فيكشف عن الصلات مع الشيوعيين اليهود ودور هؤلاء في توجيه سياسة القيادة البكداشية

وفي عام ١٩٣١ ـ ١٩٣٤ ، والى مابعد عام ١٩٣٤ ، كنتم على احسن حال مع الشيوعيين اليهود وكنتم تبادلونهم ودا بود ، وتتبادلون معهم البعثات ، وتشركونهم في بحث سياستكم وأوضاع بلادكم وقد ارسلتم فرج الله الحلو الى تل أبيب ليستطلع رأي الشيوعيين اليهود في خطة حزبكم . ثم استقدمتم الى بيروت الشيوعي اليهودي « نخمان ليفتسكي » لتستأنسوا برأيه في احد مؤتمرات الحزب وقد حضر فعلا ، واشترك بأعمال المؤتمر المذكور وأوصاكم أن تعدلوا موقفكم من الاحزاب والجماعات الوطنية في سوريا ولبنان وأن تتشددوا في الحملة عليها على اعتبار انها احزاب انتهازية ، هذا في وقت كان فيه الاستعمار الفرنسي يمعن في بعض هذه الاحزاب اضطهادا ونفيا وتشريدا .

ثم كان منكم ايضا ، بدافع الامانة لوصية نخمان اليهودي ، أن سعرتم نار حملتكم على الجمعية التأسيسية وعلى اعضائها • والمندوب السامي الفرنسي يهدد بحلها ويسجن نوابها المعارضين لانهم رفضوا أن يضعوا بيده مفتاح سيادة الامة ومقاليد أمورها ، وهكذا استويتم والاستعمار على صعيد واحد •

وقبل « تخمان » ، كان مستشاركم السياسي « برنمو » وبعد «برنمو» و «نخمان» وفد عليكم العديد من المستشارين اليهود الذين كانت لهم الكلمة الاولى في سياسة حزبكم وهؤلاء جميعا حملوا اليكم الاموال الاجنبية ونقلوا اليكم التوجيهات الاجنبية (جريدة الجماهير ، العدد ٦٩ ، ١٥ ـ ٧ ـ ٥٩)

هذا كل مانعلمه عن تلك الفترة سياسة انتهازية يسارية مخربة ، هجوم عنيف على الحركة الوطنية والصاق شتى الاتهامات لهذه الحركة ، تسقيط الدستور والجمعية التأسيسية ، اتصال مستمر بالعناصر اليهودية قبض الاموال من الخارج

ذلك هو سلوك القيادة البكداشية حتى عام ١٩٣٥ ، كما عرضه أحد أفراد هذه القيادة

وبعد هذا التاريخ ، تحولت الامور وأصبح بالامكان متابعة تاريخ الحزب بسهولة نسبية وبالاعتماد على نصوص خالد بكداش نفسه • فقد غدا الحزب علنيا بعد انتصار الجبهة الشعبية في فرنسا عام ١٩٣٦ واصدر اول جريدة علنية له جريدة « صوت الشعب ومن غريب الصدف أن الحزب الشيوعي السوري اللبناني قد درج على استعارة أسماء الصحف الحزبية في البلاد الاخرى فاستعار فؤاد شمالي اسم صحيفة الاسبانية ، عن الحزب الشيوعي الفرنسي واستعار بكداش اسم صوت الشعب » (كول هاعام) عن الجريدة العبرية للحزب الشيوعي

الفلسطيني (١) ... كما استعار بعد ذلك اسم « النور » عن الحزب الشيوعي الاسرائيلي أيضا ، اذ كانت صحيفته في عام ١٩٣٤ تحمل نفس الاسم ـ وهذه العادة ان دلت على شيء فانما تدل على تغلغل روح التبعية في التوافه والشكل بنفس المستوى الذي تتغلغل فيه بالنسبة للافكار والشعارات .

(١) كما اصدر الحزب الشيوعي العراقي في أوائل ـ آب ١٩٥٩ جريدة تحمل نفس الاسم . (المؤلفان)

الفصل الثاني

« العهد الوطني »

(١٩٣٧ ـ ١٩٣٨)

ـ ١ ـ

السياسة العامة للحزب

النضال الوطني في سوريا ومعاهدة ١٩٣٦ اللجنة المركزية للحزب تؤيد المعاهدة خالد بكداش يطلب الانضمام للكتلة الوطنية . بكداش يؤكد تصديق المعاهدة ويلوم البرجوازيه الوطنية على تشككها لماذا لم تصدق المعاهدة ؟ تركيب الجبهة الشعبية في فرنسا كيف يفهم بكداش مصلحة «الامة السورية» بكداش يقرر انتهاء النضال الوطني ويهدد حكومة دمشق بحكومة باريس

**

منذ أن وطئت أقدام الغزاة الفرنسيين أرض سورية استقبلهم الشعب بنضال غير متكافىء انخذ اشكالا مختلفة، كانت تنبثق من تطور سورية التاريخي ومن حاجاتها النضالية، الا أنه لم يهدأ ولم يتوقف لحظة واحدة بل استمر وتطور على الدوام حتى حقق النصر في سنة ١٩٤٦

وكانت ابرز اشكال هذا النضال الثورات المسلحة ـ ثورة الشيخ صالح العلي (١٩١٩ ـ ١٩٢١) وثورة ابراهيم هنانو (١٩٢٠ ـ ١٩٢١) والثورة السورية الكبرى (١٩٢٥ ـ ١٩٢٧) والمظاهرات الجماهيرية والاضرابات الشاملة التى كانت تستمر اشهرا كاملة والتى كثيرا ما كانت تؤدى الى سقوط حكومات الخونة المتعاونين مع الاستعمار . وكل « اصلاح » كانت تجريه فرنسا ، أو تقدم تحققه سوريا ، خلال هذه الفترة الطويلة ، كان ـ بالدرجة الاولى ـ من نتاج هذا النضال العربي الثوري بطبيعته ، فقد كان تراجعا تفرضه القوى الوطنية

على الاستعمار . ولهذا التراجع وجهان فهو بالنسبة للاستعمار مناورة تكتيكية ترمي الى كسب الوقت وتخدير الشعب وحشد القوى الاستعمارية للقيام بهجوم جديد لاعادة سلب الحقوق الزهيدة الممنوحة . اما بالنسبة للقوى الوطنية فهو انتصار جزئي يجب استثماره لتعزيز الحركة الوطنية وحشد قواها للمعارك القادمة .

فمعاهدة ١٩٣٦ كانت انتصارا جزئيا للشعب وتراجعا جزئيا من قبل الاستعمار ، وهذا الانتصار وهذا التراجع هما ثمرة نضال بدأ منذ عام ١٩١٩ وبوجه خاص نتيجة لحركة الاضرابات الشاملة الثورية في فترة (١٩٣٤ـ١٩٣٦) . ان نضال الشعب العربي هو العامل الاساسي الاول ، اما انتصار القوى اليسارية في فرنسا سنة ١٩٣٦ فيأتي في درجة ثانية .

واذا كنا نعيد الى الذاكرة هذه الحقائق التي لا ينكرها احد اليوم فلأن ذلك ضروري بالنسبة للموضوع الذي نعالجه الآن وهو سياسة قيادة الحزب الشيوعي السوري في مرحلة ١٩٣٦ ـ ١٩٣٨

يقول خالد بكداش :

« لما انتصرت الجبهة الشعبية في فرنسا ، قام حزبنا بكل ما في وسعه لاجل تسهيل عقد المعاهدة هنا وفي باريس . وبعد عقد المعاهدة دافع حزبنا عن العهد الوطني وقاوم أعداءه ، ولعب دورا في فضح مؤامرات الجزيرة وجبل الدروز والعلويين وغيرها ، ودافع عن مطالب الفلاحين ، وطالب بتشجيع الصناعة الوطنية ، كما ان رفيق رضا مندوب حزبنا في فرنسا ـ الذي نأمل ان نراه بعد أيام الى جانبنا ـ قضى اكثر من سنة في باريس يعمل ليل نهار لاجل رد حملات اليمين واحباط دسائسها والتعجيل بتصديق المعاهدة . وقد أوفدت لجنتنا المركزية الآن رفيقنا فؤاد قازان الى باريس ليتابع ما قام به رفيق رضا » . (خطاب بكداش في مكتب الحزب بدمشق بتاريخ ٤ نيسان ١٩٣٨ ، صوت الشعب العدد ١٣٧ ، ٩ نيسان ١٩٣٨) .

من الممكن التأكيد ان حجر الزاوية في سياسة الحزب في تلك الفترة كان التعاون بين سوريا وفرنسا والمعاهدة السورية ـ الفرنسية . ان قيادة الحزب (بكداش ـ رضا ـ قازان ـ شاوي ـ الحلو) لم تأل جهدا في هذا السبيل في سوريا وفي

فرنسا . ولسنا الآن فى مجال تحليل هذه السياسة اوانتقادها بل نحن نعرضها للقارىء على حقيقتها وبالاستناد الى النصوص ونحاول فهمها واستيعابها بالتفصيل .

تلك كانت اذن سياسة الحزب الشيوعى فى سوريا ولبنان . تلك ايضا كانت سياسة اكثرية البرجوازية الوطنية ويمكننا القول مع الكاتب الحزبى الذى وضع الفصل المتعلق بالحزب الشيوعى والوارد فى كتاب « تاريخ الاحزاب السياسية فى سوريا » الصادر عن دار الرواد فى دمشق عام ١٩٥٤ « ان خالد بكداش بذل العون للوفد السورى المفاوض فى سنة ١٩٣٦ لتقريب وجهات النظر بينه وبين العناصر اليسارية الفرنسية التى كانت ذات نفوذ واسع فى الجبهة الشعبية الفرنسية » (المرجع المذكور ، ص ٢٢٥) .

وفى هذه الحال يمكننا التأكيد ان الحزب الشيوعى السورى لم يتبع سياسة مستقلة تختلف عن سياسة البرجوازية الوطنية اختلافا جديا . ولكن ثمة بعض الفوارق بين السياستين واول هذه الفوارق ايمان خالد بكداش وزملائه وثقتهم المطلقة بفرنسا الديمقراطية وتأكيدهم بأن المعاهدة ستصدق حتما

فقد كان يحدث مثلا ان يتسرب الشك الى بعض عناصر البرجوازية الوطنية فى سوريا. فكان خالد بكداش وزملاؤه يلومون هذه العناصر على « تشاؤمها » ويؤكدون للشعب ان المعاهدة ستصدق حتما . ولكى لا يبقى كلامنا معلقا فى الهواء نقدم للقراء بعض الامثلة

نشرت جريدة صوت الشعب فى عددها الثامن الصادر بتاريخ ٣ تموز ١٩٣٧ مقالا بعنوان «لامجال للحيرة » ، ورد فيه :

« فى المقال الافتتاحى لزميلة القبس بتاريخ ٣٠ حزيران بقلم الاستاذ سامى الشمعة كثير من التساؤل والحيرة والتشاؤم بمناسبة رجوع الوفد السورى من باريس

فالاستاذ يريد ان يعرف موقف فرنسا الصحيح من المعاهدة حتى يستطيع اتباع الطريق التى تتفق وحقيقة الموقف .

ونحن لا ندرى ما الذى يبعث فى نفس الاستاذ كل هذا التشاؤم والارتباك. فالموقف واضح جدا اواكثرية الشعب الفرنسى الممثلة فى الجبهة الشعبية ومن احزاب اليسار الدمقراطية ونوابها تريد

التصديق على المعاهدة .

فالطريق واضحة . اذن يجب ان يكون الشعب السوري متحدا قويا منظما وان يظهر فيه صداقته لاصدقائنا الديمقراطيين في فرنسا ويقوي علاقات الاخاء معهم ويشجعهم حتى يؤيدونا في مقاومة طغاة الشركات الاجنبية وصقور المال » .

ان هذا النص يغني عن التعليقات الطويلة . والقارىء العربي العادي لا يمكنه الموافقة على هذا الكلام لانه يتنافى مع مفهوم النضال الوطني ضد الاستعمار . وهو في ذلك محق كل الحق . الا ان هذا الكلام يتنافى ايضا مع مفهوم الاممية البروليتارية فتأييد اصدقائنا الديموقراطيين الفرنسيين لنا لا يمكن أن يتوقف على اظهار صداقتنا لهم بل على كونهم ديموقراطيين حقيقيين !

وكتب خالد بكداش افتتاحية في العدد ٩٤ من الجريدة بتاريخ ١٨ شباط ١٩٣٨ تحت عنوان « الم يبق الا الفرار ؟ » يعاتب فيها جريدة الانشاء لانها اخذت تشك بفرنسا .

يبدا بكداش افتتاحيته هذه بذكر ما ورد في جريدة الانشاء شبه الرسمية بتاريخ ٩ شباط ١٩٣٨ حيث قالت :

« ان هذا الموقف الذي نشعر فيه بأننا نتقيد وحدنا بمقتضيات التحالف ويتردد الفرنسيون في التقيد بها فيغضون الطرف عن فتنة الجزيرة مثلا فتتسع ويتفاقم شرها، في حين ان همسة من المفوض السامي تكفل القضاء عليها ، نقول اما هذا الموقف الحائر من تطبيق المعاهدة بروحها ونصوصها ومن تنفيذ صك التحالف بحروفه فهو موقف يحملنا اذا استمر وتمادى على الوقوف عند الحد الذي بلغنا اليه » .

فينتقد خالد بكداش هذا الكلام بشدة لا لكونه يوهم الناس بان فرنسا ليست مسئولة عن فتنة الجزيرة ، بل بالعكس لانه « فرار من الميدان » ويطلب الاستمرار في تأييد المعاهدة والتحالف .

واكدت قيادة الحزب بلسان بكداش ورفيق رضا وفي مقالات صوت الشعب وعناوينها « ان المعاهدة ستصدق رغم انف الفاشست وطغاة المال الفرنسيين » لان « الجبهة الشعبية هي فرنسا نفسها » . وازدادت هذه التأكيدات الكاذبة

بعد قيام حكومة دالاديه الرجعية اليمينية (راجع صوت الشعب تاريخ ٢٢ نيسان ١٩٣٨) .

وفي العدد ١٩٥ تاريخ ٢١ آب، نشر خالد بكداش مقالا آخر بعنوان « برقية من باريس » بنفس الموضوع انتقد فيه بشدة « الصحف التي تشك في أمر تصديق المعاهدة وتعمل على القاء اليأس والقنوط في نفس الشعب السوري والقضاء على آخر بارقة أمل في وقت يحتاج فيه الشعب الى وعيه ويقظته وايمانه واتحاده » !

وكانت بعض هذه الصحف يمينية وذات ميول فاشستية. فكان جدال خالد بكداش معها يساعد في عمله الرامي الى تضليل الشيوعيين وايهامهم بأن المعاهدة ستصدق وأن النضال على كل حال لا يمكن أن يدور الا حول المعاهدة . فالمعاهدة هي الف وياء النضال الوطني .

هكذا كان بكداش وزملاؤه يلومون كل من يشك بأمر تصديق المعاهدة حتى اواخر سنة ١٩٣٨ . ومن المعروف ان المعاهدة لم تصدق مطلقا من قبل البرلمان الفرنسي . فقد كانت العناصر الاستعمارية اكثرية ساحقة في هذا البرلمان رغم « اصدقائنا الفرنسيين » .

لقد كانت «الجبهة الشعبية» في فرنسا تكتلا واسعا وغير متجانس يضم ٣ احزاب هم الشيوعيون والاشتراكيون والراديكاليون . وقد نجحت «الجبهة الشعبية » في الانتخابات في أيار ١٩٣٦ . وعلى اثر هذا النجاح ، وبفضل اضرابات ومظاهرات العمال الفرنسيين تشكلت حكومة من الاشتراكيين والراديكاليين برئاسة ليون بلوم وبتأييد الشيوعيين . ولم تحقق هذه الحكومة في فرنسا نفسها اي اصلاح الا تحت ضغط نضال العمال المباشر . اما في قضية المستعمرات ، فقد كان برنامجها « استعماريا معتدلا » (!) . فالمعروف أن الراديكاليين من

ممثلي الطبقة البرجوازية ذات العقلية الشوفينية والمصالح الاستعمارية . أما ليون بلوم فهو « استعماري يتستر باسم الاشتراكية ــ الديمقراطية »(على حد قول خالد بكداش في جريدة صوت الشعب العدد ١٢٨٠ ، تاريخ ٢٧ ــ ٢٨ تشرين الاول ١٩٤٦) . ومنذ بداية عهدها ، ارتكبت حكومة ليون بلوم « خيانة فادحة » في حقل السياسة الخارجية

ان خالد بكداش كان يعلم هذه الحقائق اكثر من اى شخص كان ، اذ قضى فترة طويلة في فرنسا . ورغم ذلك ، فهو يؤكد ان « المعاهدة ستصدق حتما » ويدعو باستمرار الى التعاون مع فرنسا ، « فرنسا الكومون » ، فرنسا « الجبهة الشعبية » ، «فرنسا التى نحبها وتحبنا والتي عقدت معنا معاهدة » . (الكلام لخالد بكداش)

**

وفى سنة ١٩٣٨ ، ازدادت جرائم الفرنسيين في سوريا ، كما هو معروف . فوجه خالد بكداش كتابا مفتوحا الى المفوض السامى اهم ما ورد فيه :

« نحن نعلم ان كل هذه الاعمال لا تمثل ارادة فرنسا التى نحبها وتحبنا ، فرنسا التي عقدت معنا المعاهدتين ، فرنسا التى انجبت الجبهة الشعبية ، وصوتت في ٣ ايار ١٩٣٦ ضد الفاشستية والحرب فى سبيل الخبز والحرية والسلام ! »

(افتتاحية صوت الشعب ، العدد ١٥٥ ، ٥ ايلر ١٩٣٨) .

بمثل هذا الكلام الرنان كان خالد بكداش يحاول تضليل الشعب . هذا هو الكلام الذى يوجهه زعيم حزب شيوعي الى ممثل الدولة الاستعمارية التي تستعبد بلاده !

ولكن قد يتساءل القارىء : هل استمر خالد بكداش على هذه السياسة بعد ان سلمت فرنسا لواء الاسكندرون الى تركيا الاستعمارية ؟

سوف نعود الى هذه المسألة . ولكن قبل ذلك ، علينا ان نوضح

موقف خالد بكداش من البرجوازية ومن الكتلة الوطنية .

ان موقف خالد بكداش من البرجوازية الوطنية كان التايد على اساس معاهدة ١٩٣٦ والصداقة الفرنسية - السورية

ففي العدد السادس من صوت الشعب الصادر بتاريخ ١٩-٦-١٩٣٧ كتب بكداش مقالا رئيسيا تحت عنوان « كيف تكون الامة صفا موحدا منظما » جاء فيه :

« تشغل الآن مسالة وحدة الصفوف محلا اوليا في السياسة السورية .

ويعتقد بعض اخواننا الوطنيين ان المسالة ليست موضوع بحث من الاساس ، فالصفوف كما يقولون ملمومة والكلمة موحدة. ولكننا لا نعتقدهم مصيبين كل الاصابة فيما يذهبون اليه. نعم ان الاكثرية الساحقة **للامة السورية** (١) ، بل الامة السورية كلها (عدا نفر قليل باعوا انفسهم للاستعمار واصبحوا له اعوانا مباشرين فخرجوا بذلك عن الامة) مجمعة على وجوب العمل في سبيل حقوقها الوطنية واستقلالها

اما الاساس الوحيد الذي يمكن أن تقوم عليه الآن حسب اعتقادنا وحدة الكلمة فهو : العمل لاجل حماية **العهد الوطني** الجديد ونجاحه ، بل نحن لا نتصور اساسا مباشرا لوحدة الصفوف في المرحلة الحاضرة غير هذا الاساس .

اما الشكل الذي يمكن ان يتم عليه تنظيم الاتحاد فمسالة سهلة ما دامت الغاية واضحة والنيات خالصة ، ما دام العمل لنجاح **العهد الوطني** الجديد رائد الجميع

ولا نعتقد أن بين الهيئات السياسية وبين اخواننا الزعماء الوطنيين والقواد والمجاهدين من يرفض ان تكون الكتلة الوطنية نفسها شكلا لهذا الاتحاد المنظم فتنضم اليها كل الهيئات والاحزاب والجماعات المجمعة على نجاح **هذا** الدور **الوطني** ، على أن تعين

---

(١) يلاحظ القارىء عبارة الامة السورية . فهل كان ذلك مجرد « تعبير لفظي » لا يقصد منه مدلول نظرى محدد . أم العكس نعود الى هذه القضية في حينها (**المؤلفان**)

بوضوح وبصورة ملموسة الاهداف والواجبات المباشرة المتفق عليها فتنتظم الجهود لتحقيقها ويتم الاتحاد والتعاون بين الجميع في قلب الكتلة الوطنية نفسها على اساس ديمقراطي صحيح منظم !

وأملنا ان تتضح قريبا هذه الحقيقة امام اخواننا الكتلويين واخواننا المجاهدين ، فيسود الاستقرار والتنظيم حركتنا الوطنية **وتنصرف البلاد الى العمل المثمر والاصلاح الذى ينتظره الشعب** » .

هذا يعنى ثلاثة اشياء :

١ ـ اعتبار العهد الجديد « عهدا وطنيا » .

٢ ـ طلب الانضمام رسميا الى الكتلة الوطنية .

٣ ـ تقرير انتهاء النضال الوطنى تحت ستار « الانصراف الى العمل المثمر والاصلاح .. »

وفى العدد ١٢٤ الصادر بتاريخ ٦-٤-١٩٣٨ ، كتب خالد بكداش مقالا بعنوان « الشعب يطلب اتحادا وطنيا منظما » جاء فيه :

« واعلنا ان حزبنا مستعد للانضمام الى الكتلة الوطنية على اساس ديمقراطى لاجل ان تنتظم جهوده مع جهود الاخوان الكتلويين وذلك دون أن يكون لنا وراء ذلك اى مطمع حزبى خاص واية غاية فى الوظائف وماليها .. بما ان الكتلة الوطنية هى الهيئة السياسية التى تستند الحكومة مباشرة على تأييدها فى ممارسة الحكم ، فقد يحلو لبعض الدساسين أن يعمدوا الى تضليل الراى العام ، فيزعمون أن الشيوعيين يطلبون الدخول فى الكتلة لغايات حزبية او لغايات توظيفية يأملونها من الحكومة الوطنية .

وليس اتحاد **الامة السورية** مسألة شعور وعواطف فقط ، فهى مسألة تفرضها الضروريات الاقتصادية والاجتماعية نفسها . فوطأة السياسة الاستعمارية نازلة بكل **الامة السورية** يستعبدها اجنبى ، ويمنعها من بناء كيانها الوطنى شرائهم وافرادهم . فمن الوجهة السياسية : كل **الامة السورية** يستعبدها أجنبى ، ويمنعها من بناء كيانها الوطنى والتمتع

باستقلالها، فهي كلها اذا متضامنة في محاربة هذا الاستعمار والسعي للاستقلال الوطني .

ومن الوجهة الاجتماعية **كل الامة السورية** تقاسي اسوا سياسة الاستعمار

فعندما ندعو الى اتحاد **الامة السورية** وتنظيم العمل المشترك في الميدان الوطني فانما نحن واثقون باننا بالغون هذه الامنية»

هكذا : كانت سياسة خالد بكداش وزملائه تأييد الكتلة الوطنية وطلب الانضمام اليها

ولكن الم يكن لخالد بكداش وزملائه انتقادات يوجهونها الى البرجوازية الوطنية وممثليها وحكومتها ؟ نعم . لقد راينا مثلا ان خالد بكداش واعوانه يلومون البرجوازية على تشككها من تصديق المعاهدة وترددها في تأييد التحالف مع فرنسا

ولكن اهم ما كان يثير انتقادات بكداش وزملائه الملاحقات التي كان يتعرض لها احيانا بعض اعضاء الحزب . ففي العدد الثالث من جريدة صوت الشعب تاريخ ٢٩ أيار ١٩٣٧ ، تحت عنوان « لا تنسوا وعودكم ! » ورد ما يلي :

« هذه بعض الحوادث المخجلة التي تجري في حلب ونحن نلفت اليها الانظار . . اننا نلفت انظارهم الى هذه الامور **ونذكرهم بالوعد الذي قطعته الكتلة الوطنية على نفسها في باريس** بلسان السيد هاشم الاتاسي الذي تعهد بان يكفل الحكم الوطني حرية الكلام والصحافة والاجتماع والنقابات وان تتمتع بنظام ديمقراطي انساني صحيح »

هذا الكلام المخجل معناه تهديد حكومة دمشق بحكومة باريس . وهذا امر لا يجوز مهما كانت حكومة باريس المنتدبة « ديمقراطية » او « انسانية » (!) . وهذه المقالات العديدة التي نشرتها جريدة صوت الشعب عن نفس الموضوع في فترة (١٩٣٧ ـ ١٩٣٨) ، كانت تساعد موضوعيا على تضليل الشيوعيين والشعب وايهامهم بان لفرنسا رسالة ديمقراطية في سوريا . فالقضية ليست مصلحة حزب بكداش التكتيكية بل هي قضية وطنية مبدئية .

تلك هي الانتقادات التي يوجهها بكداش وانصاره الى الحكومة . ولكن ما عدا هذه الانتقادات ، كان موقفهم التأييد

الكامل وبلغ بهم هذا التأييدمحاربة جميع العناصر المعارضة للحكومة واتهامها -دون تفريق-بالجهل والخيـــانة والتجسس والفاشستية ، ودعوة العمال الى « الهدوء والمحافظة على النظام» و « الابتعاد عن المخـــاطرات والحركات السابقة لاوانهـا التى تعكر العهد الوطنى » ، فى وقت استبد فيـــه الجوع بالطبقات الكادحة واستحكمت فيه حلقات الاحتلال العسكرى والاستعمار السياسي والاقتصادى (صوت الشعب ، تموز وتشرين الاول ١٩٣٧)

وفى تلك الفترة ، كانت زمرة بكداش تمتنع عن كل عمل قد يسيىء الى « العهد الوطنى » ، وكان التعاون على اشـــده بين الحزب الشيوعى والكتلة الوطنية . ففى العـــدد ٩٥ من جريدة صوت الشعب الصـــادر بتاريخ ١٩ شباط ١٩٣٨ ، نجد خبرا عن « تأجيل القاء محاضرة فى حلب » مفاده ان منظمة الحزب فى هذه المدينة كانت تنوى القاء محاضرة فى نادى الحزب ولكنها قررت ارجاءها الى موعد آخر بالاتفاق مع مكتب الكتلة الوطنية « خشية أن يستغل هذه الحفلة اعـــداء البـــلاد والرجعيـــون ويشـــوهون معنـــاها الحقيقى ويصبغونها بغير صبغتها »

وهكذا يمكن تلخيص الموقف الذى اتخذه خالد بكداش ودافع عنه بشدة فى جميع مقالاته فى فترة (١٩٣٦ ــ ١٩٣٨) ، على الشكل التالى :

١ ــ تأييد الصداقة السورية ــ الفرنسية ومعـــاهدة ١٩٣٦ تأييدا مطلقا ــ دون اعتبار لانتقاصها من الاستقلال ومحافظتها فى الجوهر على نظام الانتـــداب والاحتلال العسكرى ولبقائها رغم كل هـــذه العيـــوب حبرا على ورق تنتظر تصـــديق البرلـــمان الفرنسى

٢ ــ تأييد الكتلة الوطنية ، واعتبار العهد الذى فتحتـــه المعاهدة حتى قبل تصديقها من البرلمان الفرنسى « عهدا وطنيا»،

والدفاع فى جميع المناسبات عن هذا « العهد الوطنى » الذى لعب ـ موضوعيا ـ دورا كبيرا فى تخدير الحركة الوطنية ، فضلا عن انه اتخـــذ الدولة مزرعة للانصار .

**

وقد أصبح الآن معروفا ان قيادة الحزب الشيوعى السورى ـ اللبنانى قبضت ثمن هـــذه السياسة من الحزب الشيوعى الفرنسى واليكم ما جاء فى بيان رفيق رضا بهذا الخصوص :

« فى عام ١٩٣٢ وفد الى بيروت عدة مندوبين شيوعيين يهود حملوا مبالغ وافرة من المال الى قيادة الحزب الشيوعى فى سورية ولبنان واذكر منهم اليهـــودى اميل واوســـكا ومولر وقد ابدلت لهم قســما من هـــذه الدولارات بالعملة المحلية آنذاك. كما وحملت اليهم من باريز عام ١٩٣٨ (٢٥) الف فرنك فرنسى كان قــد قرر الحزب الشيوعى وضعها تحت تصرف قيــادة الحزب الشـــيوعى الســورى اللبنانى لتوسيع حملته من أجل اقرار المعاهـــدة الافرنســـية السورية البغيضـــة ومحـــاربة الاتجاه الوطنى فى ذلـك التاريخ هذا مع العلم أن خالد بكداش كان قد نقل بنفسه مبلغا آخر حين كان فى باريز واشترك فى مؤتمر آرل للحزب الشـيوعى الفرنسي » .

ويقول رفيق رضا ايضا :

« ولم تتورع قيادة الحزب عن ان تكون سمسارة لفرنســا الاستعمارية وبوقا لها وداعيــة من دعاتها . وهنا التقت قيادة الحزب الشيوعى فى خط واحد مع الرجعيين والمستعمرين فاذا

بكارثة لواء اسكندرون تلوح في أفق السياسة الدولية واتصلت أسباب خيانة قيادة الحزب الشيوعي في سورية ولبنان بأسباب اخرى تعاقبت على أرض هذا الوطن الشهيد فتدعى تركيا الى المطالبة باللواء وتقوم فرنسا وانجلترا بدعمها وتأييد مطلبها ويوعز الى ممثلي فرنسا وسورية بتهيئة الاجراءات وتمهيد السبل لسلخ اللواء العربي عن جسم الوطن السوري » .

لننتقل الآن الى قضية اللواء .

الفصـــل الثـالث

(١٩٣٧ ـ ١٩٣٨)

ـ ٢ ـ

موقف الحزب من قضية لواء الاسكندرون

نضال الشعب العربي في لواء الاسكندورن . موقف جريدة صوت الشعب في قضية لواء . الاعتراف « بحق فرنسا في التحالف مع تركيا » . الدعوة للاخاء العربي ـ تبرير فرنسا واظهارها بمظهر المدافع عن حقوق سوريا والعرب . تقسيم عرب اللواء الى مذاهب وطوائف . الموافقة على اتفاقية جنيف واستقلال الحزب الشيوعي في اللواء . تأييد ميثاق سعد اباد .. موقف الاتحاد السوفياتي من قضية اللواء .

**

في تلك الفترة اصيبت الامة العربية بنكبة كبرى : سلخ لواء الاسكندرون عن طريق الام وضمه قسرا الى تركيا بالتعاون الوثيق والتآمر التام بين الاستعمار الفرنسي والاستعمار التركي

ان قضية اللواء قضية في غاية الاهمية والخطورة . ومن اجل اللواء خاضت جماهير الشعب العربي كفاحا بطوليا وغير متكافىء بوحي من غريزتها الوطنية ووعيها القومي ، وبرهن الشعب العربي في هذه المعركة عن ادراكه العميق لجوهر قضيته فلم يضلل نفسه ولم يسمح لاحد بتضليله .. ولم تخدعه « سياسة المراحل » التي نهجتها فرنسا وتركيا في تنفيذ المؤامرة . بل حدد منذ اللحظة الاولى اعداءه بصراحة ودقة فرنسا وتركيا .. وكانت المعركة نفسها تفرض عليه هذا التحديد وكذلك التاريخ الذي اثبت ان فرنسا دولة باغية تستعبد عشرات الملايين من العرب وغير العرب ، وان تركيا الكمالية بعد ان حققت ثورتها القومية البرجوازية ، قضت على كل ما ليس تركيا في بلادها ، ونهجت سياسة التوسع

الاستعماري على حساب جيرانها العرب

فماذا كان موقف خالد بكداش من هـذه القضية ؟ ان توضيح هذه المسألة ضروري للغاية ، لا سيما وان خالد بكداش اخذ بعد نهاية عهد الانتداب يطالب بعودة اللواء الى الوطن الام حتى ان صراخه كان يغطي احيانا نداءات الوطنيين الشرفاء ! لنرجع الى جريدة « صوت الشعب ».

كرست جريدة « صوت الشعب » منذ اعدادها الاولى (ايار ١٩٣٧) مقالات عديدة لقضية اللواء وكي نبقى امناء للنهج الذي سرنا عليه سنعرض للقارىء بعض هذه المقالات

نشرت الجريدة في عددها الثالث بتاريخ ٢٩ ايار ١٩٣٧ مقالا مسهبا تحت عنوان « اسكندرون الضحية » بقلم صاحبها ومديرها المسؤول نقولا شاوي جاء فيه ،

« ان رغبة الحكومة الفرنسية في اكتساب صداقة تركيا من اجل صيانة السلم والدفاع عنه ، واتخاذ كل التدابير لتوطيد اركانه مشروعة جدا ولكن الشعب السوري الذي عقد معها منذ امد قصير معاهدة صداقة وتحالف لا يفهم أن يكون تحقيق هذه الرغبة قائمة على تضحية مصالحه والعبث بوحدة بلاده

اننا نريد جميعا ان تقوى وتشتد علاقات الصداقة والود بين تركيا وفرنسا وسوريا ايضا ، ولكنا لا نريد ابدا ان ندفع من جيوبنا ثمن هذه الصداقة

ومن جراء هذا تحصد الحكومة الوطنية هي ايضا بعض الاثمار الحامضة ، **فالرجعيون** يحاولون القاء تبعة حادث اسكندرون على عاتقها ، فيحملون عليها ويطلبون منها أن تستقيل ، ويظهرون امام الشعب بمظهر اشد المدافعين اخلاصا عن وحدة الوطن ؛ وعن اللواء ، وعن مصالح الشعب .

ان قضية السنجق ليست مما يستهان به انها مرتبطة ارتباطا وثيقا بقضية المعاهدة ،والشعب ينظر الى حلها باهتمام وقلق لم نر مثيلا لهما الا قليلا فيما مضى

فاذا طلبنا ان تاخذ الحكومة الفرنسية موقفا حازما فانما نحن نمثل رغبة الشعب الذي يريد ان يرى لغته العربية

رسمية في اللواء مثل اللغة التركية ، ونواب السنجق جالسين في البرلمان السوري مع اخوانهم ممثلي بقية المناطق وحاكم السنجق معينا من قبل حكومة دمشق المركزية ، يتلقى أوامره منها . اجل ، ان الشعب الذي ذاق مرارة التجزئة يريد أن يرى في السنجق شروطا متوفرة واسعة تضمن الوحدة والسيادة السورية ، وتفسح المجال لاطلاق الحريات الديموقراطية الصحيحة بين سكانه ، وتوطيد عرى الصداقة بينهم وبين الشعب التركي الشقيق الذي يعارض هو ايضا مطامع حكومته الاستعمارية »

هذا الكلام مصاغ بالاسلوب البكداشي المعهود القائم على التمويه والغموض المقصودين ومع ذلك فاننا نجد فيه :

١ ـ اتهام القوى العربية المناضلة ضد فرنسا بانها رجعية .

٢ ـ الدعوة للصداقة العربية التركية

٣ ـ اضفاء الصفة الشرعية على رغبة فرنسا في كسب صداقة تركيا مهما كانت المبررات .

٤ ـ اعبار الحكومة الفرنسية مدافعا ، يركن اليه نسبيا ومطالبتها باتخاذ موقف حازم

٥ ـ تحديد مطالب الشعب العربي بشكل لا يمكن ان يتفق مع شعارات النضال العربي آنذاك . وانما يتفق مع شعارات الحزب الشيوعي الفرنسي الذي نشرت صوت الشعب في عددها السابق مقالا لاحد قادته يعلن فيه عن مطالبته بالشعارات ذاتها نصا ومعنى . فما كان من نقولا الشاوي الا ان رددها كالببغاء .

وفي العدد الرابع ، تاريخ ١٩٣٧/٦/٥ ، نشرت الجريدة مقالا لخالد بكداش بعنوان : « من المسؤول عن نكبتنا في الاسكندرون ؟ » جاء فيه

« وقد زادت الاسكندرون تعلقا بأمها سورية رغم كل العناصر الهدامة المعتزة بسيطرتها وامتيازاتها التي بذلت كل ما في صدورها من خبث وانحطاط ، لاضعاف القوى السورية في اللواء » .

اقول زادت الاسكندرون تعلقا بأمها سورية العربية ؛ ولا اعني أن هذا التعلق كان ضعيفا ، بل اريد الاشارة الى

دخول عناصر تركية وافرة من العناصر الشعبية فى جبهة النضال الجدى لاجل سورية ضد مطامع تركيا الاستعمارية » .

وفى العدد ٢٥ تاريخ ١٩٣٧/١٠/٢ نشرت مقالا بعنوان : « المساعي البغيضة لتخليد التطاحن» لقاسم رضوان سكرتير الحزب فى اللواء جاء فيه :

« أن أهم ما يميز الوضع الحاضر فى لواء الاسكندرون هو حبك المناورات ليل نهار ، لتشجيع التناحر والعدوان القومي والطائفى »

ويرى المتأمل ان الرجعيين على اختلاف قومياتهم يتفقون مع بعضهم لاستغلال نتاج أبناء الشعب سواء كان المستغل عربيا او تركيا او ارمنيا ، وبالوقت نفسه يعملون لبذر الشقاق والعداء ما بين جماهير الشعب العاملة فعلى العرب والاتراك والارمن أن يفهموا أن انشقاقنا من بعضنا ، وانفصالنا هو مناصرة لاعدائنا الذين يريدون تخليد استعبادنا وتجويعنا واذلالنا

أن العربى عاش مع التركي والارمنى سنين طويلة دون تناحر ولا سفك دماء ، وهم يستطيعون ان يعيشوا الآن ايضا وأن يتآزروا لاجل نشر لواء الاخاء والسلام والهدوء على ربوعنا ، ولاجل جعل لواء الاسكندرون السورى ديموقراطيا انسانيا »

وصدر العدد ٤٨ من الجريدة بتاريخ ٢١ كانون الاول ١٩٣٧ بعد تعطيل ٨٤ يوما - لم توضح الجريدة اسباب توقفها عن الصدور - جرت خلالها أحداث اللواء الخطيرة انزال العلم السورى ، ومظاهرات واضرابات الشعب العربى الشاملة . ولكن لم يرد فى هذا العدد شيء عن اللواء ، فى حين ان الجريدة تداركت ما فاتها ذكره فى فترة تعطيلها عن حوادث فلسطين ، متجاهلة أخطر احداث اللواء :الا وهى اعتداء فرنسا على اتفاقية جنيف وتمزيقها .

وفى العدد ٩٩ تاريخ ٢٤ شباط ١٩٣٨ نشرت مقالا آخر لقاسم رضوان بعنوان : « لكي يسود الاخاء والسلام فى اللواء يجب وضع حد لدعاية التفرقة ! فى الاتحاد سلامة اللواء ورخاؤه » .

وفى العدد ١٨٤ تاريخ ٧ حزيران ١٩٣٨ ، نشرت افتتاحية لخالد بكداش عن قضية اللواءاهم واخطر ما ورد فيها :

« ليست فرنسا هى التى خيبت آمال اللواء وآمال العرب ليست فرنسا هى التى تراجعت أمام الاستعمار التركى ، وتخلت من تعهداتها الدولية ، ورضيت بدوس قرارات عصبة الامم نفسها كلا فرنسا لم تفعل ذلك . بل فعل ذلك بعض الدبلوماسيين الفرنسيين . فعلت ذلك وزارة الخارجية الفرنسية » .

ومن هذه النصوص يمكننا ان نلخص موقف خالد بكداش وزمرته من قضية اللواء فى ثلاث نقاط :

١ ـ الاخاء العربى ـ التركى ومحاربة « دعاة التفرقة » (!؟)

٢ ـ محاربة العناصر العربية الشريفة .

٣ ـ الثقة بفرنسا الديموقراطية ، والسير تحت لوائها .

أما الدعوة الى الاخاء العربى التركى فهى من الوجهة السطحية والمجردة دعوة اممية للاخاء بين الشعوب والسلام . ولكنها عمليا وموضوعيا مساهمة فى طمس جوهر القضية جوهرها القومى العربى الموجه ضد فرنسا وتركيا ؛ جوهرها الوطنى الموجه ضد الغاصبين !وهى بالتالى تساعد على تضليل الشعب العربى فى اللواء وسورية . « ان دخول عناصر تركية وافرة فى جبهة النضال الجدى لاجل سوريا ضد مطامع تركيا الاستعمارية » لم يحصل الا ذهن خالد بكداش وقاسم رضوان وارتين ماخيان . ان الدعوة الى « الاخاء العربى ـ التركى » اشبه ـ اذا اردنا التمثيل ـ بالدعوة الى الصداقة السوفياتية ـ الالمانية فى غمرة العدوان الالمانى الهتلرى على الاتحاد السوفيتى فهل دعا احد فى الاتحاد السوفياتى الى « الاخاء السوفياتى ـ الالمانى » فى غمرة الحرب ؟

واما الاعتماد على فرنسا الديموقراطية ، ومطالبتها بالحزم ، وما شابه ذلك فهو تجاهل انتهازى بشع لطبيعة الدولة الفرنسية الاستعمارية ولتآمرها الاستعمارى مع تركيا ضد سورية العربية ان فرنسا لم تدافع ـ فى يوم من الايام ـ عن

مصالح سوريا كي تقول انها تراجعت كانت فرنسا تعمل لمصالحها الاستعمارية ؛ ولاتقيم أي وزن الى اي شيء آخر !
ولكن الامور تتعدى التجاهل والانتهازية والتضليل العفوي الى الاعتراف الصريح بسلخ اللواء والموافقة عليه .

فمنذ العدد ١٤ تاريخ ١٧ ايلول ١٩٣٧ نشرت صوت الشعب تحت عنوان « هل المعاهدة السورية في خطر » ما يلي

« انفردت جريدة فلسطين بنشر برقية خطيرة لمراسلها في دمشق مفادها أن هناك تعديلا سيطرا على المعاهدة السورية – الفرنسية ويزعم مراسل فلسطين بان هذا التعديل يتناول بعض المواد وما يتعلق منها بلواء الاسكندرون .

واذا صح الخبر ، فنحن ،مع كل ثقله ووطاته ، نحب بكل قوانا أن نصدق مراسل فلسطين في ان التعديل يقتصر على مسألة لواء اسكندرون فقط . بل لن يكون هذا التعديل امرا جديدا اذ من الطبيعي أن تنعكس في المعاهدة حلول اسكندرون بعد ان صدقتها عصبة الامم »

وهذا الكلام يعني بالضبط الموافقة على اتفاقية جنيف والاستمرار في تأييد المعاهدة السورية – الفرنسية حتى بعد تعديلها على هذا الاساس وقبول هذا التعديل كامر طبيعي ،
وتكييف سلوك الحزب في سوريا واللواء بحيث يتفق مع احكام هذه الاتفاقية ، ويساعد الموظفين الفرنسيين على اداء عملهم في اللواء على الصورة التي رسمتها سياسة دولتهم الاستعمارية . فكان الحزب خير عون لهم في هذا السبيل .

ولم يكن هذا شأن البكداشيين وحدهم . بل سلك جميع عملاء فرنسا في سورية واللواء ذات السلوك ، فايدوا اتفاقية جنيف ووفقوا سلوكهم مع أحكامها .

وبالاستناد الى تلك الاتفاقية، سارع اولئك العملاء في اللواء لتاسيس حزب سياسي يبشر بشعاراتهم هذه واطلقوا عليه ابسم « حزب اتحاد العناصر » الذي يعترف باتفاقية جنيف ويعمل على اساسها. كما سارع الحزب الشيوعي في الاسكندرونة الى تقديم برنامجه ونظامه الداخلي الى السلطة المنتدبة على اساس الاعتراف باتفاقية جنيف. وكان اساس برنامج الحزب « الاخاء بين كل سكان اللواء كيفما كان جنسهم أو دينهم »

(لا يذكر البرنامج قوميتهم !)و « النضال ضد كل دعايات التفرقة والشغب » (يقصدبهذاالكلام نضال العرب البطولى ضد اتفاقية جنيف والمؤامرة التى يجرى تنفيذها) . اما النظام الداخلى للحزب فيعلن آنالحزبفى اللواء « فرع من الاممية مثل الحزب الشيوعى السورى وكل فروع الاممية » . وهذا يعنى الاعتراف « باستقلال » اللواءوانسلاخه عن الكيان السورى.

ان القارىء سيستغرب هذهالسرعة العجيبة فىتقديمالبرنامج والنظام الداخلى، عندما سيتذكران الحزب فى سورية ولبنان يعمل فى الواقع بدون برنامج اونظام داخلى منذ اكثر من ٢٠ سنة ـ لقد أقر المؤتمر الثانى(والاخير) للحزب فى أول كانون الثانى ١٩٤٤ ميثاقا وطنياونظاماداخليا . ولكن القى بهما فى سلة المهملات بعد عامين وهذا يدلعلى ان الحزب لم يكن حريصا على وجود ميثاق وطنى او نظامداخلى ـ فما الذى يدعوه الآن لهذا الحرص بالنسبة للواء ؟

ولكن استغراب القارىءسيتضاعف اذا علم ان السلطة الاستعمارية بادرت الى اجابةطلبالحزب بعد يوم واحدفقط، وقد نشرتصوت الشعبجوابالمندوب الفرنسى بالموافقة متباهية . وكل ذلك كان يجرىفى الوقت الذى كان الفرنسيون يشنون فيه اقسى حملة علىالشعب العربى فى اللواء وعلى جرائده ونواديه .

**

من الغريب ان زمرة خالدبكداش وتلامذته فى لواء الاسكندرون، طوال اعوامالنضالالعصيبة (١٩٣٦ ـ ١٩٣٨) ، كانت تقتفى آثار المستعمرينالفرنسيين والاتراك فى النظرة الى سكان اللواء

فالفرنسيون والاتراك لايعترفون بوجود شعب عربى واحد فى اللواء . وأنهم كانوايقسمونالعرب الى طوائف دينية ، الى علويين وسنيين عرب وروم ارثوذكس أما حين يتكلمون عنالقومياتالاخرى ، فلايلتفتون الىتقسيماتها المذهبية اوالدينية بل ينظرون اليها كقوميات(اتراك ، أكراد ، ارمن ، شركس) .

ولم يخرج خالد بكداش ذاته عن هـذه النظرة حينما اتهم النظرية الطورانية كانت تستهدف العرب عموما لاالعلويين وحدهم . فقد كانت دعايتها تنصب على سكان القصير وهم سنيون عرب وعلى سكان العمق وهم سنيون عرب أيضا .

ويتجلى هذا الموقف ايضا في البيانات التي أصدرها الحزب الشيوعي في اللواء أثناء عمليات التسجيل . فقد أصدر الحزب بيانا باللغة العربية موجها الى العلويين في ٣ أيار ١٩٣٨ ، ونشرته جريدة صوت الشعب في عددها ١٦١ تاريخ ١٢ أيار ، ورد فيه بالحرف « يا معشر العلويين! يا احفاد أبي الحسنين! يا من لكم الفخر والعز بعلويتكم ... الخ » وأصدر بيانا آخر باللغة التركية وجهه الى مواطني اللواء «الاتراك والعلويين والعرب والارمن والروم الارثوذكس » ، واضعا العلويين والروم الارثوذكس الى جانب الترك والعرب والارمن على أساس انهم يمثلون قوميات مستقلة مع ان الجميع عرب .

وهكذا نجد ان خالد بكداش وزمرته لم يدافعوا عن عروبة اللواء ، بل فرقوها متبنين في ذلك النظرية الفرنسية التي أخرجت العلويين والمسيحيين من حظيرة العروبة بينما سمت الاتراك أتراكا لا مسلمين سنيين والارمن أرمن لا مسيحيين كاثوليك أو ارثوذكس .

كان غرض الفرنسيين والاتراك من هذا التزوير المفضوح واضحا ، وهو تقسيم العرب الى طوائف بحيث تبدو الاقلية التركية أكبر أقلية عددية بين سكان اللواء فماذا كان غرض خالد بكداش ؟.

**

وبالاضافة الى ذلك كله ، هنالك الوجه الدولي للقضية .

فقد نشرت صوت الشعب في العدد (١٥) تاريخ ١٨ أيلول ١٩٣٧ ، الخبر التالي تحت عنوان « سورية والميثاق الشرقي »

« منذ الآونة التي تم فيها الميثاق الشرقي بين دول الشرق الادنى الاربع (تركيا ، العراق ، ايران ، أفغانستان) واقطار البلدان السورية متجهة الى هذا الحلف الذي أقل ما يقال فيه أنه حلف يرمي الى « تعزيز السلام العالمي فلما عقدت المعاهدة

السورية ـ الفرنسية ، بات من المنتظر أن تتجه بنفسه نحو الحلف الشرقي ، لا سيما وبين فرنسا وتركيا أواصر وثيقة، فضلا عن اتفاقية لواء الاسكندرونة القاضية بالدفاع عن سوريا وفاق معاهدة ثلاثية تعقد بين هذه الدول الثلاث (١) ومن كل هذا يتبين لنا أن الوضع السياسي يساعد على تحقيق التآلف والدفاع المشترك بين أقطار الشرق الادنى خصوصا ونحن في غمرة من غمرات نزوع الفاشستية الى اجراء تقسيم جديد للعالم وتوزيع مناطق النفوذ .

والمعروف ان هذا الميثاق ،ميثاق سعد اباد ، كان ميثاقا استعماريا هدفه ضرب الحركات التحررية في الشرق الاوسط وخاصة في الوطن العربي وقد ظهرت نتائجه من اقتطاع لواء الاسكندرون ، واثارة الفتن في الجزيرة وجبل الدروز والعلويين وتمزيق سورية ،والاعتداء على حريات شعبها وحقوقه الطبيعية .

وعادت الجريدة الى هذا الموضوع مرارا فنشرت في عددها ٢٢١ تاريخ ١٦ نيسان ١٩٣٩ وفي أعلى الصفحة الاولى ، الخبر التالي تحت عنوان «الاسكندرون في مفاوضات انجلترا وتركيا »

« نشرت جنفييف تابوى في جريدة الاوبزرفر نبأ اخيرا عن سنجق الاسكندرونة والمحادثات الجارية بشأنه الآن ، قالت فيه:

« لا تزال المفاوضات بشأن سنجق الاسكندرونة جارية بين انقرة وباريس ، ولقد بدات الحكومة البريطانية في المفاوضة مع الحكومة التركية بشأن الحلف المنوى تاليفه من البلدان التى تبغى مقاومة التوسع الالمانى عند الضرورة .

ان اتفاقات مونترو المتضمنة ايضاح الشروط التي فيها تسمح الحكومة التركية بالمرور في المضايق في حالة الحرب وحالة السلم وفي حالة بقاء تركيا على الحياد اذا وقعت الحرب ، قد وقعتها ايطاليا واليابان كما وقعها الاتحاد السوفيتي وانجلترا وفرنسا وبريطانيا ورومانيا الخ .. » .

---

(١) انتبه الى تأييد سلخ اللواء عن سوريا والاعتراف لتركيا وفرنسا بحق الدفاع عن سوريا ومطالبة سوريا باللجوء الى هذا الحلف الاستعماري بحجة مكافحة الفاشستية .

(المؤلفان)

هذه الاخبار « الموضوعية » البريئة كانت تؤدي في الواقع الى تضليل الشيوعيين حول المواثيق الدولية والوضع الحقيقي في الشرق الادنى ، واظهار قضية اللواء كأنها « جزء من كل » ، جزء من قضية « مقاومة التوسع الالماني » . الم تعترف جريدة صوت الشعب منذ البدء بـ « حق فرنسا في اكتساب صداقة تركيا من اجل صيانة السلم »؟!

وهكذا فان زمرة خالد بكداش لم تدافع عن عروبة اللواء . ولم تخدم السلم العالمي بل كان هدفهما التضليل والدفاع عن نظريات المستعمرين والاتراك وتبرير مؤامرتهم تحت شعار مكافحة الفاشية وتحت شعار الصداقة الفرنسية ـ السورية ، وبحجة الدفاع عن تصديق المعاهدة مرة ثالثة

ولم يقف تضليل بكداش وزمرته عند حد ، دفاعا عن السياسة الفرنسية وامعانا في التستر على مؤامراتها مع الرجعية التركية ضد مصالح الشعب العربي واخفاء للتفاهم الفرنسي التركي الذي اكتشفه عرب اللواء منذ اول لحظة، كما القت الصحافة العربية في سورية عليه الاضواء.. ولكي لا يبقى كلامنا هذا معلقا في الهواء نحيل القارىء الكريم الى المقالات العديدة التي نشرتها صوت الشعب خلال اشتداد الازمة في فترة (١٩٣٧ ـ ١٩٣٨) تلك المقالات التي كرسها بكداش وزمرته لابراز ما زعموا انه كان يحدث بين فرنسا « المعتدى عليها في اللواء »، واظهارهما بمظهر المدافع عن مصالح سورية وحقوقها. (راجع العدد ١٩٨ من صوت الشعب الصادر في ١١ ايلول ١٩٣٨)

ولكي لا يظل بحثنا ناقصا اوددنا عرض موقف الاتحاد السوفياتي من قضية اللواء اكمالا لهذا الموضوع (١)

---

(١) ما كنا نريد أن نتعرض لموقف الاتحاد السوفياتي من اتفاقية جنيف الجائرة والمخالفة لكل المبادىء الانسانية وللقواعد والقوانين الدولية والمجحفة بحق الشعب العربي . وقد تعمدنا اغفال ذلك حينما نشرنا هذا البحث في جريدة الصحافة البيروتية في ٤ كانون الثاني ١٩٥٩ (العدد ٤٦) ، وذلك لان الحرص على الصداقة العربية ـ السوفيتية دفعنا لاغفالها ، لا سيما وان السوفييت حساسون جدا في مثل هذه الامور فسكتنا على خطابي لتفينوف الملادين لمصالح الشعب العربي واماني . وللحقوق الدولية ، وللمثل والمبادىء =

لقد وافق الاتحاد السوفياتي على اتفاقية جنيف الجائرة في عصبة الامم ، وامتدح صديقته فرنسا وتركيا لانهما توصلتا الى هذه التسوية « السارة » ، في جلستي العصبة المعقودتين في ٢٧ كانون الثاني ١٩٣٧ و ٢٩ايار ١٩٣٧ واليك التفصيل :

بعد ان القى المسيو ساندلر في ٢٧ كانون الثاني ١٩٣٧ تقريره عن حل يضمن مصالح تركيا في اللواء العربي ، ويمهد الجو لاحتلاله ، وبعد ان القى المستر ايدن خطابا يمتدح فيه الاتفاق ويشيد بفرنسا التي اجابت طلب تركيا « بروح الود والسخاء » وقف الرفيق ليفينوف في المجلس وقال : ان حكومته قد اهتمت لهذه القضية منذ الاول لانها تخص دولتين ترتبط بهما بصلات وثيقة فتركيا لها صلات صداقة جدا وثيقة بالاتحاد السوفياتي منذ بدء حياتها

وفرنسا ترتبط معه بمصالح مشتركة وبميثاق للتعاون المشترك . ومن الطبيعي اننا نرغب ان يتوصل اصدقاؤنا بصورة عملية الى هذه الصداقة ».. ثم هنأ في الاخير وزيري الخارجية التركية والفرنسية والمسيو ساندلر لانتهائهم الى هذا الحل . (راجع خطاب لتفينوف في مجلة عصبة الامم الرسمية ص١٢١ شباط ١٩٣٧ ــ الطبعة الانكليزية)

وفي الجلسة السادسة من اجتماع عصبة الامم السابع والتسعين المنعقد في جنيف في ٢٩ ايار ، والذي وقع فيه على الصيغة النهائية لاتفاقية جنيف الجائرة التي الغت السيادة السورية عن اللواء ، تكلم الرفيق لتفينوف ايضا وكان وزيرا لخارجية الاتحاد السوفياتي ، فعبر عن ارتياحه لهذه التسوية « السارة » لانها تدل على نجاح الحكومة الفرنسية التي تربطها مع الحكومة السوفياتية رابطة الصداقة ، وعلى نجاح الحكومة التركية التي ارتبطت معها ايضا بروابط صداقة قديمة لم تتبدل وعلى نجاح العصبة التي تعتبرها حكومته عنصرا مهما في سياستها

= الاخلاقية . اما الآن فقد اصبح لزاما علينا ان نبدد جانبا من هذا الوهم وذلك بتذكير السوفييت والامة العربية بموقفين خطيرين لمندوب الاتحاد السوفيتي لتفينوف ، في ٢٧ كانون الثاني ١٩٣٧ و ٢٩ ايار ١٩٣٧ من قضية اللواء لعل الذكرى تنفع ... (المؤلفان)

.. (راجع خطاب لتفينوف في مجلة عصبة الامم الرسمية ايلو وحزيران ۱۹۲۷ ص ۳۳۲ ـ ۳۲۲ الطبعة الانكليزية) .

لقد كان لتفينوف حريصا على صداقة فرنسا وتركيا . اما سوريا والعرب ، اصحاب الحق في هذه القضية ، فقد تجاهلهم الاتحاد السوفياتي ولم يقم لارادتهم اي وزن . ولم يكن الاتحاد السوفياتي محقا في هذا الموقف .

اما خالد بكداش واتباعه ، فقد خانوا وطنهم وعملوا لمصلحة اعدائه الاستعماريين الفرنسيين والاتراك .

الفصـــل الرابع
موقف الحـــزب الشـــيوعي
من معـــركة الجـــلاء (١٩٤٥)

شـعارات الحركة الوطنيـــةومواقف اللجنة المركزية للحزب من هذه الشعارات . دعوة خالدبكداش الىالاستقرار والتسوية. العدوان الفرنسي على سورية فى٢٩ ايار موقف الشـعب من العدوان . موقف اللجنة المركزيةللحـزب بعـد العدوان كيف سكتت جريدة صوتالشعب عنمطلب الجلاء .

هوية الجنرال اوليفـا ــ روجيه . خطاب بكداش فى يوم الجلاء

**

منذ دخول «الجيوشالحليفة»الى ســوريا ولبنـان ، اضطرت حكومة « فرنسا الحرة » بلسانالجنرال كاترو الى اعلان نهـاية الانتداب والاعتراف باســتقلالسوريا ولبنان .

الا أن هـذا الاســتقلال كانيترتب عليه أن يبقى اسـتقلالا صوريا لا قيمة له ما لم يتحققمطلبـان اساسـيان من مطالب الشعب :

اولا ــ انتقال الجيش منأيدىالاســتعمار الفـرنسي الى ايدى السـلطات الوطنية .

ثانيا ــ جلاءالجيوشالفرنسيةوالانكليزبة عن سوريا ولبنان .

وكانت المطالبة بالجيشالشعارالاســاسى الذى يحرك مظاهرات الشعب فى جميع المدن السوريةواللبنـانية منذ سـنة ١٩٤٣ . وكانت البرجـوازية الوطنيـــةالمعتدلة تطالب هىايضابالجيش، وتؤكد ان الجيش هو اســـاسالاسـتقلال والسـيادة ، وانه مامن دولة مـستقلة ترضى ببقاءجيشـهاتحت قيـادة اجنبية . وهـذا الشعور الوطنى كان شعورا عامايشارك فيـه العمال والفلاحون والمثقفونوالبرجوازيون والضباطوالجنود فىالجيش الموحود تحت سيطرة الفرنسيين .

لقد كانت جميـع الطبقـاتالوطنية فى مرحلة ١٩٤٤ــ١٩٤٥

تطالب باستكمال حقوق سوريا وتعمل دائبة للحصول على الاستقلال التام الناجز .

يمكننا ان نتساءل اذن عن الخطة التي اتبعها خالد بكداش وعن الشعارات التي طرحها في تلك الفترة .

ما هو موقف بكداش واعوانه من حقوق سوريا ؟ ماهو موقفهم من قضية الجيش ؟ ماهو موقفهم من المظاهرات الوطنية ومن الشعب ؟

لقد كان خالد بكداش يدعو الى « الاتحاد الوطني » ، حسب العادة التي درج عليها منذ بدء حياته السياسية ولكن اي « اتحاد وطني » ؟ وعلى اي اساس ؟ ولاي هدف ؟

قبل الحرب مثلا ، كان يدعو الى « الاتحاد الوطني » على اساس التعاون مع فرنسا ، اي ـ في الواقع ـ الرضوخ للاستعمار الفرنسي رغم اغتصاب اللواء ، ورغم خيانة مونيخ ، ورغم كونه الاستعمار .

فما هي سياسة البكداشيين في سنة ١٩٤٣ ـ ١٩٤٥ بعد ان اعلنت « فرنسا الحرة » نفسها عن موافقتها على استقلال سوريا ولبنان ، وبعد معركة ستالينغراد ؟

اليكم ماورد في افتتاحية خالد بكداش تحت عنوان « تطورات السياسة وواجب الوطنيين الديمقراطيين (صوت الشعب ، العدد ٧٤٥ : ٨ نيسان ١٩٤٤)

« اننا عندما نقول ان البلاد بحاجة الى بلوغ نوع من الاستقرار (!) في علاقاتها السياسية ، وفي حياتها العامة ، فانما نفصح عن ارادة الشعب باسره بكل جماعاته وفئاته . واذا كان غيرنا يدعي لنفسه وحده الحق او الاولوية في التكلم باسم بعض الطبقات العليا ـ اوباسم الكبار والخواص كما يقولون ، فذلك شأنه . اما نحن فنؤكد ان مئات الالوف من صغار التجار ومن صغار المنتجين في المدينة والقرية ومن العمال والطلاب ورجل العلم . الفكر متجهون اليوم بأفكارهم نحو شيء رئيسي هو بلوغ حالة من الاستقرار يتمكنون فيها من معالجة شؤون معاشهم وحياة اطفالهم وعائلاتهم بصورة مجدية مثمرة حتى نهاية الحرب . صحيح ان الاستقرار التام في بلد كسورية لا يتحقق الا بلوغ الاستقلال الوطني . اقامة نظام ديمقراطي صحيح . توطيد كيان دولي متين في عالم ممحى منه مبادىء الاعتداء والطغيان

الاستعماري ، وهي أشياء لن يتسع مجال النضال في سبيلها ولن توضع على بساط البحث بصورة جدية الا بانتهاء الحرب او مع انتهائها . **ومعنى ذلك ان المهمة الاولى الموضوعة امام بلادنا اليوم هي دعم مجهود الحلفاء الحربي في سبيل سحق المانيا الهتلرية . فذلك اقرب طريق لانتهاء الحرب .**

اننا نقصد بالاستقرار تثبيت ما نالته سورية من حقوق واستكمالها وتسوية جميع الامور المعلقة وبلوغ وضع فيه شيء من الاستقرار من حيث علاقاتنا الحالية مع الدول الاخرى ومن حيث حياتنا العامة أي اننا بعبارة اخرى نريد أن نصبح الحقوق الاستقلالية التي نالتها بلادنا وحقوقنا الدستورية ونظامنا الجمهوري في مأمن من كل غارة او عاصفة جديدة ، فلا تبقى معلقة بسير التناقضات بين هذه الدولة أو تلك ، متوقفة على طبيعة المصالح التي قد تفرق هذه الدولة عن هذه الدولة حينا وقد تجمع بينهما حينا آخر **ان الامة السورية تنشد الوصول الى تسوية تنقذها من الاخذ والرد ومن القلق والاضطراب وتؤمن لها نوعا من الاستقرار الى نهاية الحرب .** وفي ذلك دعم المجهود الحربي اولا ، وفسح مجال العمل المثمر والنضال المجدي امام الشعب ثانيا

ان ثمة اناسا واوساطا ومراجع يريدون استمرار **حالة القلق والاضطراب السياسي في بلادنا** وهما نوعان ـ فريق يأمل ان يؤدي دوام هذه الحالة الى **نسف النظام الجمهوري** وعودة العهود البائدة وفريق يخدم مصالح اخرى أي ان الفريقين يريدان أولا واخيرا حرمان سورية سيادتها واخضاعها لنير سيطرة قديمة أو جديدة . . . .

**

هذا ما يقوله خالد بكداش باسلوبه الانشائي المعهود ، وهذا ما يسميه ماركس وانجلس ولينين « اسلوب الجمل » وما عرفته حركة العمال بهذا الاسم منذ « برودون » و « دوهرنغ » حتى « مالنكوف » و كاغانوفيتش ولكن اذا طرحنا الانشاء والجمل تبقى الافكار ، وهذه الافكار هي التالية :

١ ـ الدعوة الى حالة من « الاستقرار » باسم مصلحة

الفقراء الكادحين الذين يريدون على حد زعم بكداش «الانصراف الى معالجة شئون معاشهم وحياة اطفالهم وعائلاتهم» . وهذه الدعوة العاطفية اللئيمة معناها التخلي عن النضال الوطني . وذلك بعد الجريمة النكراء التي ارتكبتها فرنسا المستعمرة ضد الشعب اللبناني قبل بضعة شهور .

٢ ـ الدعوة الى عقد معاهدة مع الاستعمار الفرنسي والوصول الى « تسوية » معه ، على اساس « تثبيت الحقوق التي نالتها سوريا » في حين ان الشعب كان يرفض كل تسوية مع جلاديه ، ولا يقبل باقل من الاستقلال التام الناجز والجلاء

٣ ـ اتهام جميع الذين يعارضون هذه الخطة ، بانهم يريدون تحطيم النظام الجمهوري وبالعمل لحساب جهة اجنبية في حين ان الشعب باسره ـ « صغار التجار والمنتجين والعمال والطلاب الخ .. » ـ كان يعارض هذه « الخطة » . ولم يتقبل هذه « الخطة » سوى الفئات المتخلفة في البرجوازية السورية ـ اللبنانية وصنائع الاستعمار الفرنسي » .

٤ ـ ما زال خالد بكداش ينادي ـ في مقاله هذا ـ بفكرة « الامة السورية » المناوئة للقومية العربية ولمفاهيم الشعب ومعتقداته . ان الشعب السوري كان يؤمن ايمانا راسخا بانه جزء من الامة العربية وانه لا يمكن ان يكون الا جزءا من الامة العربية .. الم تكن سوريا مركز القومية العربية ومنارة للامة العربية كما جاء قرار البكداشيين عن « الاتحاد » بين سوريا ومصر في اوائل سنة ١٩٥٨ . كان شعب سوريا يؤمن بانه جزء من الامة العربية . ولكن خالد بكداش ، مثله مثل انطون سعادة ، اراد ان يفرض على هذا الشعب ان يكون « امة سورية » .

٥ ـ كي يتمكن من تضليل الشيوعيين وجرهم الى خطة « التسوية » وبالاصح خطة التعاون مع الاستعمار والتخلي من النضال الوطني الثوري ؛ كان خالد بكداش يبذل جهده لاظهار النضال الوطني في سبيل الاستقلال بمظهر العامل الذي يعرقل « مجهود الحلفاء الحربي » ويؤخر « نهاية الحرب » . وبذلك يرهب الوطنيين ويؤلب الحلفاء ضدهم وضد شعاراتهم ، ويبرر التعسف الاستعماري .

وقد استطاع في الواقع جر عدد من الناس الى هذه

« الخطة » التى كانت تصطدم بالنضال الوطنى الجماعيرى .

الم ينظم البكداشيون مظاهرات تحمل صور ستالين وديجول وبكداش ؟؟ ..

وكى يدرك القارىء خطورة هذا الموقف وتأخره عن ركب النضال الوطنى ، يستطيع أن يقارنه بموقف البرجوازية نفسها .

فقد نشرت جريدة صوت الشعب فى عددها ٧٥٢ تصريحا للوزير اللبناني حبيب ابي شهلا ، فنقلت عن لسانه أنه أصر على تسلم الجيش دون أن يكون لفرنسا اى اشراف عليه .

« ان من ضرورات الاستقلال ان يكون للبنان جيش ونحن لا نستطيع تأجيل ذلك الى مابعد الحرب » .

هكذا ... لقد كان حبيب ابى شهلا اسبق من بكداش وزمرته واكثر انسجاما مع المطالب الوطنية ... ومن البديهى ان ابى شهلا كان يعمل لصالح البروجوازية اللبنانيه . ولا نظن انه كان عميلا بريطانيا او مؤيدا للنظام الملكى . وبعد ، الم يحضر ابى شهلا الجلسة الختامية لمؤتمر الحزب الشيوعى بتاريخ أول كانون الاول ١٩٤٤ ؟ وقد تباهى الحزب بذلك فى صحفه ومنشوراته !

وهذه الخطة التى تضع الحزب فى ذيل الاحداث عرضتها جريدة صوت الشعب وابرزتها فى افتتاحيات ومقالات عديدة لخالد بكداش ونقولا شاوى وفرج الله الحلو ووصفى البنى وغيرهم ، وهى جميعها لا تخرج عن الافتتاحية المذكورة سابقا .

هذا ما نلاحظه مثلا فى افتتاحية خالد بكداش المنشورة فى العدد ٩٢٢ بتاريخ ٤ و٥ شباط ١٩٤٥ بعنوان « نحن وفرنسا » فهو يكتفى بالتهجم على « العقلية الفاشستية » عند بعض موظفى الاستعمار ، ولا يذكر قضية تسلم الجيش »

ولكن الاحداث كانت تسير بسرعة . والحرب تسير نحو غايتها . والدول الفاشستية فى أوربا تستسلم الواحدة تلو الاخرى وشعوب المستعمرات الفرنسية والاستعمار الفرنسى يستعد للمعركة الفاصلة .

وفى ٨ أيار ١٩٤٥ ، دخلت جيوش الاتحاد السوفياتي مدينة برلين فزال الخطر الفاشستي نهائيا باستسلام المانيا الهتلرية

وفى ٨ أيار ١٩٤٥ ، فى نفس اليوم الذى كان البكداشيون يحملون فيه صور بكداش مع صور ممثل الاستعمار الفرنسى الجنرال ديجول بتوجيه من زعيمهم ، قام شعب الجزائر بثورته الباسلة ، فقمعها فرنسيو ديجول بوحشية لا تقل اطلاقا عن وحشية الهتلريين ، ان لم تفقها .

واخذ الاستعمار الفرنسي يعد مجزرة ثانية فى سوريا ولبنان . فيوالى استفزازاته ضد الشعب وينزل قوات جديدة فى سوريا بغية رسيخ اقدامه ومنع الاستقلال الوطنى ، على أشلاء عشرات الالوف من السوريين واللبنانيين .

ومع ذلك كله ، نشرت جريدة صوت الشعب فى عددها ٩٨٦ بتاريخ ١٨ أيار ١٩٤٥ تحت عنوان « بعد عودة الجنرال بينه — ما هى الاسس التى تستوى عليها العلاقات بين سوريا ولبنان وفرنسا » افتتاحية بقلم نقولا شاوى ، يؤكد فيها ان « الجانب الفرنسى يريد معاهدة مع سوريا ومعاهدة مع لبنان، وان البلاد لا تعارض فى ذلك ، بشرط ان تقوم المعاهدتان على اساس المساواة التامة والحقوق التى نالها البلدان خلال هذه الاونة (!) وفى نفس العدد ، نشرت الجريدة خبرا عن « مقابلة رئيس الحزب الشيوعى السورى لفخامة الرئيس شكرى القوتلى » يتبين منه أن خالد بكداش اهمل فى المطالب التى قدمها قضية الجيش ولم يشر اليها بحرف ، كما طالب بتوثيق عرى الصداقة مع الاتحاد السوفياتى والولايات المتحدة الامريكية ، دون يقدر موقف الاستعمار الامريكى واهدافه فى هذه المرحلة ، بل منحه بركته بقوله : ان الولايات المتحدة « لا تقر لاية دولة من الدول بمركز ممتاز فى بلادنا »

وتوالت الاستفزازات الفرنسية التى نجد صداها فى جريدة صوت الشعب نفسها — ان كانت هذه الجريدة مضطرة للتحدث عنها والا انفضحت كليا فى نظر الشعب ولم يعد بامكانها متابعة مهمتها التضليلية !

وفى العدد ٩٩٣ ، الصادر فى ٢٨ أيار ١٩٤٥ ، أى فى عشية العدوان الفرنسي الغاشم نشرت صوت الشعب افتتاحية استمرت فيها على بحث « نوع المعاهدة » الواجب عقدها بين فرنسا

وسوريا ، ورفضت اعطاءمركز ممتاز لها ، وابرزت هذا الشعار دون أن تذكر قضية تسلم الجيش بصراحة . وبذلك كله ، كانت جريدة البكداشيين تساهم في تضليل الشعب حول حقيقة الوضع وحقيقة نوايا الاستعمار الفرنسي ..

ـ وفي اليوم التالي ، نفذ الاستعمار الفرنسي عدوانه الغادر ، وسقط الوف الشهداء في مختلف المدن السورية . فما هو الموقف الذي اتخذه خالد بكداش وأعوانه بعد هذا العدوان ؟؟

لقد كان العدوان الفرنسي دليلا واضحا ، على خطأ ضرر كل سياسة غير السياسة الوطنية الشريفة ، التي تطرح القضايا الحقيقية بصراحة تامة وتعالجها بروح الاشتراكية الثورية ، لا بروح التخاذل الانتهازي ، الذي يدفع أولئك الذين هم في اعتقادهم « أشبه بالنعامة التي تخفي راسها حتى لاترى العدو وتظن أن العدو أيضا لا يراها ، مادامت هي لا تراه »

لقد اثبت العدوان أن سياسة الذين يعلقون آمالهم ـ في الزعامة ـ على تحول فرنسا المقبل الى دولة اشتراكية ، فيعتبرون هذا التحول الافتراضي سببا كافيا للشذوذ عن مبادىء النضال الوطني ، بدلا من ان يقوموا بواجبهم الوطني والشيوعي ، رغم كل الدلائل والقرائن التي كانت تدفعهم دفعا الى جادة الصواب ـ سياسة خاطئة منحرفة لا تمت الى اللينينية بصلة ، بل هي اقرب الى سياسة الاممية الصفراء ، سياسة ادوار برنشتاين وليون بلوم

رغم ذلك كله ، ورغم الاعتداء الفرنسي على حقوق الشعب اللبناني في أواخر سنة ١٩٤٣ ، ورغم دماء ٤٥ الفا من الجزائريين الذين سقطوا في مجزرة ٨ ايار ١٩٤٥ ، ورغم مئات والوف الضحايا والشهداء الذين سقطوا في سورية في أواخر ايار وأوائل حزيران ١٩٤٥ ، ثابر خالد بكداش ـ قدر امكانه ـ على خطته اللاوطنية .

وكي لا يبقى كلامنا معلقا في الهواء ، نعيد القارىء مرة اخرى الى جريدة صوت الشعب

في العدد ٩٩٨ ، تاريخ ٥ حزيران ، نشرت الجريدة وصفا مسهبا لحوادث العدوان الغاشم وعكست ـ الى حد ما ـ غضبة الشعب ضد الاستعمار . ونشرت في الصفحة الثانية

« نداء الحزب الشيوعي السوري » تحت عنوان « فلتسقط البربرية الاستعمارية الهمجية المجرمة »

وقد جاء - هذا البيان :

« ايها المواطنون الابيون !

قابلت السلطات الاستعمارية الغاشمة نضال بلادنا الوطني المشروع في سبيل حريتها وسيادتها الوطنية بهجوم غادر همجي

ولكن دمشق لم تتراجع ولم تتخاذل ، بل صمدت وثبتت حكومة وشعبا صمودا رائعا .

لقد ثار الراي العام الحر في كل انحاء الدنيا . وتدخلت الدول الحليفة انجلترا والاتحاد السوفياتي وامريكا والدول العربية وشعوبها للدفاع عن الشعب السوري ، وتدخلت الجيوش البريطانية الموجودة في بلادنا

ان سورية تشكر الجيوش البريطانية التي اوقفت سفك الدماء وتتقدم بشكرها لجميع الدول الحليفة وكل الشعوب الشقيقة

ولذلك يطلب الشعب السوري باسم مبادىء الحق والعدل

١ ـ محاكمة الذين ارتكبوا هذه الجنايات .

٢ ـ ارجاع المنهوبات الى أصحابها .

٣ ـ التعويض على أصحاب البيوت المدمرة والمحروقة .

٤ ـ الزام هؤلاء المجرمين بكل الاضرار التي لحقت بالاهلين. »

(صوت الشعب ، العدد ٩٩٨ ، تاريخ ٥ حزيران ١٩٤٥) .

لقد قرأنا هذا النداء مرات عديدة ولم تخدعنا عباراته الملتهبة . بل لاحظنا فيه انحرافا خطيرا عن مطالب الشعب الحقيقية ان الشعب لم يقصر مطالبه على محاكمة المجرمين وارجاع المنهوبات الى اصحابها وما شابه ذلك بل وضع في راس مطالبه الجلاء التام الناجز الفوري ! أما زمرة خالد بكداش فقد تجاهلت قضية الجلاء تجاهلا تاما .

وهذا ما يلاحظ ايضا في « مقررات الاجتماع المشترك لممثلي اللجنتين المركزيتين للحزب الشيوعي السوري والحزب اللبناني عن الحالة السياسية في سوريه ولبنان بعد عدوان المستعمرين الفرنسيين » . فقد طالبت هذه المقررات بمحاكمة المسؤولين عن الفظائع كمجرمي حرب ، ودعت الى « الاتحاد الوطني » (!) ، ونسيت الجلاء (صوت الشعب العدد ١٠٠١ تاريخ ٩ حزيران ١٩٤٥) ، متجاهلة بذلك مطلب الشعب الاساسي رغم اصرار جميع الوطنيين عليه ، كما يتبين من مطالعة الاخبار الواردة في الجريدة نفسها .

فقد صرح سعد الله الجابري الى مندوب جريدة الاهرام بقوله:

« ولن يقبل السوريون . . عقد اتفاق مع فرنسا بل هم يطلبون جلاءها التام لكي تستمتع باستقلالها التام » .

(صوت الشعب ، العدد ١٠٠١ ٧ حزيران ١٩٤٥) .

وتبنت الجامعة العربية قرار الحكومتين السوريه واللبنانيه الرسمي بجلاء الجيوش الاجنبية عن سورية ، كما يتبين من مقررات الجامعة العربية المنشورة في العدد ١٠٠١ من صوت الشعب تاريخ ٩ حزيران فقد جاء في هذه المقررات

« بعد سماع بيان ممثلي سوريا ولبنان والاطلاع على المذكرة المقدمة منها يقر المجلس مايلي:

ان الحكومة الفرنسية اعتدت سوريا ولبنان وعليها مسؤولية ما وقع فيها من قتل وتخريب وخسائر .

ان بقاء القوات الفرنسية في سورية ولبنان يتنافى مع حقوق السيادة والاستقلال المعترف بهما

ان وجود القوات الفرنسية في سورية ولبنان يعرض البلاد والاهالي بصفة مستديمة الى مثل الحوادث الفاجعة التي وقعت في الايام الاخيرة والتي حدث مثلها في الماضي

ان وجود هذه القوات يحدث توترا مستمرا في علاقات فرنسا مع الجمهوريتين العربيتين يمتد الى بقية الاقطار العربية ويعرقل المجهود الحربي ضد اليابان

ولـذلك يؤيد المجلس طلب سورية ولبنان **الجلاء العاجل لجميع القوات الفرنسية عن اراضي الجمهوريتين** • وهو حين يقرر ذلك لا يفكر مطلقا في احتمال بقاء قوات أجنبية أخرى في بلاد الجمهوريتين العربيتين•»

هكذا يتبين لنا ان الجلاء كان المطلب الاساسي لسورية ولبنان والعرب • ومقررات جامعة الدول العربية ـ من اولها الى آخرها ـ تدور حول هذه القضية •

أما زمرة خالد بكداش فلم تتبن شعار الجلاء الا بعد أن اعلنته الجامعة العربية نفسها وبعد ان ثبت حتى للعميان أنه اصبح قضية محتومة لا مفر منها ، وبعد ان اصبح السكوت عنه فضيحة مكشوفة فقد نشرت جريدة صوت الشعب في عددها ١٠٠٢ ، تاريخ ١٠ ـ ١١ حزيران ، خبرا مفاده أن « الحزب الشيوعي السوري » تقدم بمذكرة للدول العربية والحليفة في ٩ حزيران ١٩٤٥ يطلب فيها جلاء جميع الجيوش الاجنبية وفقا لتصريح المستر ايدن وزير الخارجية البريطانية في مجلس العموم في ٣١ أيار ١٩٤٥ » • وكانت هذه هي المرة الاولى التي تتبنى فيها زمرة البكداشيين هذا الشعار

ويلاحظ ان اجتماع اللجنتين المركزيتين للحزبين الشيوعيين السوري واللبناني المنعقد قبل يوم أو يومين لم يتطرق الى قضية الجلاء ، كما بينا سابقا • فمن هي الهيئة المسماة « الحزب الشيوعي السوري » التي تقدمت بهذ المذكرة التي تنص على الجلاء؟ وكيف حدث هذا التحول الواضح ؟ وما هي أسبابه ؟ ان الاجتماع المشترك للجنتين المركزيتين المذكور في العدد ١٠٠١ من صوت الشعب الصادر بتاريخ ٩ حزيران لا يمكن أن يكون قد نسي الجلاء ، وليس بامكانه أن ينساه ، ومع ذلك لم يتطرق اليه • فماذا حصل ؟ ؟ حتى تدارك الحزب الموقف متأخرا ؟

من الممكن القول ان شعار الجلاء فرض فرضا على خالد بكداش من قبل الشعب السوري الذي قاسى العدوان (١) •

---

(١) لابد لنا من الاشارة هنا الى أن الحزب الشيوعي الفرنسي كان يشترك في الحكومة الفرنسية في باريس • والجنرال أوليفا ـ

أما نقولا شاوي (الزعيم الحقيقي للحزب في لبنان وممثل خالد بكداش) ، فقد كان باستطاعته أن يتأخر بعض الوقت قبل الاعتراف بهذا الشعار وهذا ما نلاحظه في بيان المكتب السياسي للحزب الشيوعي اللبناني الصادر بتاريخ ١٧ حزيران والذي تطرق الى الاستقلال والسيادة والتحرر من كل سيطرة اجنبية ، دون تسمية الامور باسمها الصريح : جلاء الجيوش الفرنسية والانكيزية عن لبنان .

ترى لو قبل الشعب السوري بنصيحة خالد بكداش وركن الى الهدوء والسكينة ، وتخلى عن النضال الثوري ، وحقق «الاتحاد الوطني » او « الجبهة الوطنية »(!) على اساس « تأمين حالة من الاستقرار » ، وتجاهل قضيتي الجيش والجلاء وقبل بعقد معاهدة تسوية « تثبت الحقوق التي نالتها سورية » والتي اعترفت جريدة صوت الشعب بأنها ليست الاستقلال التام، ماذا يكون مصير سورية اليوم ؟

من حسن الحظ ان الشعب السوري كان أعمق وعيا وأبعد بصيرة واصلب عودا من خالد بكداش وأمثاله . فرفض هذه «النصيحة» وتابع نضاله الثوري وحقق الجلاء في ظرف أقل من سنة ، تاركا بكداش وزمرته في ذيل الحركة الوطنية يجرون وراءها لاهثين دون أن يدركوا محط أقدامها

لقد تحقق الجلاء في سنة ١٩٤٦ ، رغم محاولات الاستعمار الفرنسي والانكليزي بفضل وعي الشعب ونضاله وتأييد الشعب العربي في جميع أقطاره ومساندة الاتحاد السوفياتي لقضية سورية ولبنان في مجلس الامن

وتكلم خالد بكداش في يوم الجلاء متناسيا مواقفه السياسية طيلة فترة الانتداب ، وأكد ان سياسة سورية أن تكون استقلالية عربية ، وأضاف

« اننا نطلب ان لا تسير سياستنا الدولية لا في لندن ولا واشنطن ولا موسكو ـ بل في ركاب سورية والعروبة وحدها » . (مجلة الطريق السنة الخامسة ، العددان السابع

روجيه الذي أصدر الاوامر في دمشق « بتأديب السوريين » كان صديقا للحزب الشيوعي الفرنسي وعند وفاته في فرنسا عام ١٩٥٠ ، نعته جريدة الاومانيته باعتباره سكرتير **منظمة « انصار السلام »** في محافظة بيرينه ـ الشرقية بفرنسا

(المؤلفان)

والثامن في ٣٠ نيسان ١٩٤٦ ،ص ٣٢) ٠

لم يكن شعار « لا شرقية ولاغربية » معروفا آنذاك ٠

ان سياسة الجمهورية العربية المتحدة منذ بدئها حتى اليوم لا تسير « لا في ركاب لندن ولاواشنطن ولا موسكو » ، ورغم ذلك فالبكداشيون يتهمون هذه السياسة بالتحريفية (!؟) ٠ ولو أردنا أن نستخدم هـذا التعبير الـذي يعشقه خالـد بكداش ويستعمله في كل مناسبة وبدون مناسبة ، وجب علينا القول ان خالد بكداش هـو أول من نادى بالتحريفية وأول من ابتكرها ٠

ولكن تلك ليست نيتنـا ٠ وخالد بكداش ، في ركضة وراء المؤيدين والانصار لا يقف عنـد مثل هذه الحدود ٠

ولـكن هل كانت سـياسة بكداش تسير في ركاب سورية والعروبة طـوال فترة ١٩٣٢ ـ ١٩٤٥ ؟ طبعا لا ٠ وهل كانت تسير في ركاب موسكو ؟ ان هناك أمورا كثيرة تدفعنا الى نفي ذلك أيضا ! فبركاب من كانت تسير سياسته ؟؟

وبركاب من سارت هـذه السياسة في العهد الجديد الذي انفتح بالنسبة لسورية بجـلاء القوات الاجنبية هذا ماسيراه القارىء في الفصـول التالية من هذا الكتاب ٠

الفصل الخامس

١٩٤٦ ـ ١٩٤٨

ـ ٢ ـ

موقف الحزب من قضية فلسطين

كيف نفذت المؤامرة الاستعمارية الصهيونية ضد فلسطين ؟ موقف خالد بكداش من قضية فلسطين قبل الحرب العالمية الثانية • بيان اللجنة المركزية للحزب حول قضية فلسطين • ماهي أسباب الحقد بين العرب واليهود ؟ هل النزاع الفلسطينى نزاع قومى أم لا ؟ موقف البكداشيين من الغزاة اليهود فى فلسطين وموقف السوفيت من الغزاة الالمان ! متى أصبحت قضية فلسطين قضية جلاء واستقلال؟ خطة البكداشيين فى تضليل الشعب فى جميع مراحل القضية الفلسطينية •

**

قضية فلسطين من اهم القضايا التى تشغل العرب منذ عشرات السنين • وهى ليست بالنسبة للامة العربية قضية مصالح وحقوق فحسب ، بل أكثر من ذلك قضية حياة • وكى نفهم الذين تأثروا بالدعاية البكداشية، نقول ان قضية فلسطين أهم من قضية احتلال واستقلال • انها قضية اغتصاب أرض عربية وتشريد سكانها العرب وابادتهم واسكان « شعب » آخر محلهم ، وذلك دون ان يكون لهؤلاء السكان الشرعيين أى ذنب ، واقامة دولة مصطنعة دخيلة ، فى قلب الامة العربية ، للضغط والتهديد والاعتداء والتوسع ، دولة قامت على العدوان • واذا فرضت علينا لغة المقارنة ، نقول ان وجود دولة اسرائيل فى قلب الوطن العربى ـ بكيانها وجيشها وسكانها واقتصادها ـ اهم واخطر بكثير من وجود احتلال اجنبي في بقعة ما من بقاع الوطن العربى • انه اخطر بكثير بالنسبة للامة العربية ، وبالنسبة لقضية السلام فى الشرق الاوسط والعالم اجمع •

أولا لانها الابن المدلل للاستعمار ولا يمكن الفصل بينها وبينه ٠

ثانيا : لا نها لاتكتفي بالاستغلال والنهب الذى يزاوله المستعمرون في مستعمراتهم بل تحاول محو الشعب العربى من فلسطين وابادة كل مظهر للعروبة فيها ٠

ثالثا لان قيامها هدفه شق الوطن العربى الى شطرين آسيوى وافريقى تمهيدا لمحو معالم القومية العربية من المنطقة٠

ولسنا هنا في معرض الحديث المفصل عن تطورات المسألة الفلسطينية ونقتصر على التذكير كيف ان الاستعماريين والصهيونيين نفذوا مشروعهم الرامى الى اقامة دولة اسرائيل بدأب وثبات ٠ وقد تحقق المشروع على مرحلتين رئيسيتين

اولا ـ التعاون الوثيق بين الانتداب البريطاني والصهيونية، وتدفق المهاجرون اليهود الى فلسطين بفضل هذا التعاون ٠ ولم تكن الهجرة اليهودية ممكنة لولا وجود الاستعمار البريطانى ودعمه وتشجيعه للهجرة ومساندته لليهود ضد العرب ٠

ثانيا ـ بعد نهاية الحرب العالمية الثانية التعاون الوثيق بين الصهيونية والاستعمار عامة٠ ٠ وخاصة الاستعمار الانكلو ـ اميركى ، الذى دعم العصابات الصهيونية بقواه المادية والسياسية

وخلال المرحلتين ، بذلت الاوساط الاستعمارية والصهيونية جهدها لتضليل العرب حول حقيقة الموقف باظهارها الدولتين الغربيتين الاستعماريتين بمظهر الحكم الحيادى ٠ فدفعت بعض العناصر اليهودية المعتدلة من أمثال السير هربرت صموئيل الى التظاهر بمصادقة العرب والعطف على مستقبلهم ٠

أما خالد بكداش والبكداشيون فقد عملوا فى فترة ١٩٣٧ ـ ١٩٣٨ فى خط مساعد للاستعمار اذ دعموا هذا الاتجاه التضليلى بطرق عدة

اولا ـ تغاضوا عن الانتداب البريطانى ، وطمسوا شعار استقلال فلسطين ، وطالبوا بريطانيا الديمقراطية ، بعدم تنفيذ مشروع التقسيم ٠٠٠ وكانوا بهذا الموقف ، يسهمون فى

تضليل الشعب العربي ، وتحويل أنظاره عن التعاون القائم على قدم وساق بين بريطانيا « الديمقراطية » وبين الصهيونية .

هذا ما لاحظناه في التقرير الذي أرسله خالد بكداش الى مؤتمر بلودان عن قضية فلسطين . وهذا ما يمكن ملاحظته في مقالات عديدة نشرتها جريدة « صوت الشعب » ، لا سيما المقال المنشور في الصفحة الاولى من العدد العاشر بتاريخ ١٧ تموز ١٩٣٧ بعنوان « تقسيم فلسطين أسوأ من بقاء الانتداب » ، وفيه دعوة صريحة الى الهدوء والاخاء العربي اليهودي والعمل المنتج (!) في ظل الانتداب البريطاني .

ثانيا ـ صافحوا « اليد الكريمة » ، التي كانت تمدها العناصر الاستعمارية الصهيونية « المعتدلة » يد السر هربرت صموئيل ، المفوض السامي البريطاني ، وهو أول رجل فتح أبواب فلسطين للهجرة اليهودية .

ثالثا ـ لم يهتموا كثيرا بالقضية الفلسطينية أصلا بل بذلوا جهدهم لصرف الانظار عنها ، وعملوا على اظهارها كمشكلة فرعية ثانوية .

أما الشعب العربي ، هذا الذي لا يكترث خالد بكداش برأيه وحكمه ، فلم ينطل عليه تضليل الاستعمار والصهيونية والبكداشية . بل أدرك جوهر القضية ، جوهرها القومي العربي الموجه ضد الغزاة الصهيونيين وضد المستعمرين الانكليز والامريكيين . ولم يطالب بريطانيا « الديمقراطية » بكذا وكيت ، بل حاربها بكل ما أوتي من عزم وقوة حارب الاستعمار والصهيونية ، دفاعا عن حقه وحياته ، وبالاستناد الى فهمه لمصلحته ووعيه لطبيعة المعركة .

ذلك هو موقف خالد بكداش والبكداشيين من قضية فلسطين قبل الحرب العالمية الثانية . فما هو موقفهم من المشكلة بعد هذه الحرب ، عند اقتراب المعركة الفاصلة ؟ .

ان الطريقة التي اتبعناها حتى الآن تفرض علينا عدم الاعتماد على التصريحات الشفهية ، تلك التصريحات التي يستطيع أصحابها انكارها ، لا سيما وانهم اعتادوا على تزوير أبسط الاشياء . بل تفرض علينا الاعتماد على النصوص المكتوبة على مقالات صوت الشعب ، وكراسات خالد بكداش ، وبيانات القيادة

البكداشيـة فهـذه المقـالات والكراسات والبيانات هي الوثائق الدامغة ٠

لذلك نقدم للقارىء فيما يلي نص البيان الصادر عن اجتماع اللجنتـين المركزيتين للحزبين الشيوعيين اللبناني والسوري ، المنعقـد في ١٧ تشرين الاول ١٩٤٧ ٠ ونشير الى أن هـذا البيان صدر قبل موافقة الاتحاد السوفييتي على مشروع التقسيم بأيام ، أي في الوقت الذي كان فيـه الحزب الشيعوي السوري اللبناني لا يزال « يعـارض » مشروع التقسيم بشدة ٠!

يتطرق هذا البيان الى قضية فلسـطين ، ومؤتمر الاحـزاب الشيوعية الاوروبية الكبرى في فرصوفيا وخطر انتقـال وباء الكوليرا الى سورية ولبنـان ٠ ولكن أهم ما ورد فيـه يتعلق بقضية فلسطين فاليكم ماجاء في هذا البيان حول هذه القضية تحت عنوان « قضية فلسطين قضية جلاء واستقلال وحرية » ٠

« ان قضيـة فلسطين تجتاز مرحـلة دقيقـة تتميز بتنوع وتكاثر المؤامرات الاستعمارية الانكليزية والامريكية الرامية الى اخراج هذه القضية عن حقيقتها وطمس معالمها ، واعطائها الشكل الذي يمكن المستعمرين من تنفيذ الانكليز وقد انضـم اليهم في السنين الاخـيرة المستعمرون الامريكيون ـ قد عملوا دائما ، لجعل القضية الفلسطينية ، قضية **نزاع عنصري عربي يهـودي ٠ ولاجل ذلك سعوا ـ يسـاعدهم زعماء الصهيونية ـ الى تغـذية التوتر والحقد بين العرب واليهود في فلسطين ، ومنع أي تقارب او اتفاق بين الطرفين** ٠ وكان هدفهم دائما تامين سيطرتهم والمحافظة على احتلالهم واستعمارهم ٠

وها هم اليوم يستغلون الحالة التي خلقوها هم انفسهم لاجل تقسيم فلسـطين واقامة دولتين فيها ، وهدفهم من ذلك هو تثبيت

سيطرتهم واستعمارهم واحتلالهم بالتعاون مع خدمهم زعماء الصهيونية وعملائها ودعاتها •

ولا ريب ان السياسة التي سارت عليها بعض الاوساط العربية ، وكذلك الاوساط ذات العقلية الاقطاعية الرجعية ، قد ساعدت في تنفيذ مآرب المستعمرين والصهيونيين في الدعوة للتقسيم ، وجعل القضية قضية نزاع عربي يهودي ، وبايجاد الحجج لدعم مزاعمهم القائلة باستحالة عيش العرب واليهود في دولة واحدة •

ان الحزبين الشيوعيين السوري واللبناني يعتقدان اعتقادا جازما بأن **قضية فلسطين هي قضية حرية واستقلال** ، وهما واثقان من انهما يعبران عن رأي جميع الوطنيين الديموقراطيين العرب ، في التأكيد بأن حل قضية فلسطين هو في الجلاء والاستقلال والغاء الانتداب ورفض مشروع التقسيم رفضا باتا ، كما يعتقدان بأن من الممكن ان يعيش العرب واليهود في فلسطين ، في ظل دولة ديمقراطية مستقلة واحدة •

ان واجب الوطنيين الديمقراطيين العرب ، في نضالهم ضد التقسيم ، ان يقاوموا بقوة وحزم جميع المحاولات التي تحمل لواءها بعض الاوساط الرجعية المرتبطة بالاجنبي في الاقطار العربية ، تلك المحاولات الرامية الى اخراج حركة التضامن العربي مع فلسطين ، من نطاق النضال ضد الاستعمار والاحتلال والصهيونية وتحويله الى نضال عربي يهودي •

ان الشرط الرئيسي لنجاح النضال العربي ضد التقسيم ، هو في الوقوف بحزم وجرأة في وجه كل سياسة ترمي الى جر العرب لمثل هذه المغامرات التي لا يقتصر اذاها وضررها على قضية فلسطين العزيزة ، بل تتناول سمعة العرب جميعا وتهدد استقلال سورية ولبنان في الدرجة الاولى ونظامها الجمهوري ، كما تهدد مستقبل نضال بقية الشعوب العربية ، في سبيل الجلاء والاستقلال •

ان العالم أجمع يجب ان يعرف ويقتنع ان نضال العرب لاجل فلسطين هو قبل كل شيء نضال وطني ضد الاستعمار والاحتلال والجلاء والديموقراطية ٠

وان تضامن العرب في جميع أقطارهم مع فلسطين ، في نطاق النضال ضـــد الاستعمار هو ، السبيل الوحيد القويم ، للفوز بتأييد القوى الديمقراطية في العالم واحباط مشاريع التقسيم والدولة الصهيونية ، وتحقيق استقـلال فلسطين وتحريرها من الاحتلال والانتداب ضمن دولة ديموقراطية مستقلة ،

هذا هو نص البيان ٠ ويستطيع القارئ أن يراجع هـــذا النص في عدد جريدة صـوت الشعب الصادر في ١٩ و ٢٠ /١٠/ ٩٤٧

يمكننا القول أ ن القـــارئ العادي لجريدة « صوت الشعب » الذي قرأ البيان في سنة ١٩٤٧ فهم منه آنذاك ، ان اللجنـــة المركزية « تعـــارض » مشروع تقسيم فلسطين ، وان العـــرب ليسوا من أصـــحاب النزعات العنصرية « اللاسامية » المعادية لليهود ، بل هم ضد الصهيونية فقط ، وان قضية فلسطين كما يقول عنوان البيان نفسه ، هي « قضية جلاء واستقلال وحرية » وليست قضية نزاع عنصري بين العرب واليهود وكان بامكان هذا القارئ مثـــلا ، ان يفتخر بالروح الانسانيـة والاممـيـــة التحررية الواعية التي تطبع هذا البيان الخ !٠

ولكن لابد لنا من تجاوز هذه النظرة الاولى السطحية ، ولا بد لنا أن ننفذ الى أعماق المسألة ، محاولين اجلاء حقيقتها ، تبعـــا لمقتضيات المنهج الموضوعي ٠ فاذا ما تجاوزنا النظرة السطحيـــة ، نلاحظ الامور التالية

أولا ـ صحيح ان المستعمرين يعملون عادة على تغذية الحقد بين الشعوب ولكن أساس هذا الحقد (وهذه السياسة) في فلسطين

هو وعد بلفور والانتداب البريطاني والهجرة اليهودية ٠ فلم تكن فلسطين قبل وعد بلفور مكونة من شعبين ـ عرب ويهود جاء الاستعمار الانكليزي فغذى روح الحقد بينهما ! بل الحقيقة أن الاستعمار الانكليزي جاء وجلب معه اليهود ، في عملية غزو واجتياح واغتصاب ، لم يشهد التاريخ مثيلا لها ! وفي هذه الظروف ، من الصعب أن يتحلى العرب بروح المحبة والاخاء تجاه الدخلاء لقد عرف العرب في التاريخ بروحهم الانسانية السامية تجاه الشعوب الاخرى وتجاه اليهود أنفسهم ٠ ان تاريخ اسبانيا في ظل الحكم العربي والحضارة العربية أكبر شاهد على ذلك ٠ أما في فلسطين في عهد الاستعمار والغزو العنصري والصهيوني فالمسألة تختلف كل الاختلاف !

والواقع ان بيان اللجنة المركزية البكداشية يلتزم الصمت حول هذه «النقطة» بالذات بل يعترف لليهود الغزاة بشرعية البقاء دونما تحفظ !

ثانيا ـ صحيح ان قضية فلسطين « قضية جلاء واستقلال وحرية » ، وليست قضية نزاع عنصري عربي ـ يهودي ٠ ولكنها ايضا وبلا أدنى ريب « قضية نزاع قومي بين العرب واليهود » ، أي قضية نزاع بين شعبين ٠

بامكان بكداش أن يقول وأن يصرخ متهربا ان اليهود «لا يؤلفون امة » ، وانه لا مجال بالتالي للتحدث عن نزاع قومي ٠ وبذلك يكون مرة أخرى قد أحل المحاكمات اللفظية الشكلية محل التحليل الواقعي ٠

نعم ، اليهود لا يؤلفون « امة » ٠٠ ولكن تلك مشكلة أخرى مشكلة نظرية ، وهي لا تهمنا في قضية عملية الى ابعد حد ٠ فهنالك شعب يهودي في فلسطين ، شعب دخيل ، وخاضع للصهيونية العالمية وآلة بيد الاستعمار ، جامع الاستعمار ، وهو يأتمر ـ بنسبة ٩٩٪ على الاقل ـ بأوامر الصهيونية العالمية ويتحالف

- بنسبة ٩٩ ٪ على الاقل - مع الاستعمار ضد العرب وضد فلسطين العربية والنزاع الفلسطيني - تبعا لذلك - هو نزاع بين شعبين مختلفين بملامحهما وخصائصهما وتاريخهما الخ هو نزاع قومي بين العرب واليهود • ومعركة العرب ضد الصهيونية هي « الى جانب» كونها معركة ضد الاستعمار ، معركة قومية • وان كونها معركة ضد الاستعمار في سبيل الحرية والاستقلال لا ينفي أبدا كونها معركة قومية ، بل بالعكس فهو يؤكد فيها هذا الجوهر القومي •

ان نضال العرب في الوطن العربي ليس نضالا وطنيا فحسب ، اي نضالا موجها ضد الغزاة المستعمرين ، دفاعا عن ارض الاجداد ، بل هو ايضا نضال قومي . انه حركة القومية العربية المتحررة الرامية الى اقامة دولة العرب القومية المستقلة الموحدة . والصهيونية حركة اجرامية رجعية استعمارية ذات طابع عالمي موجه ضد هذه القومية العربية وحقها في الحياة.

والواقع أن خالد بكداش لم يكن - ظاهرا - ليدرك لا من قريب ولا من بعيد حركة القومية العربية التحررية الثورية الصاعدة ولا يهمه حقها في الحياة .

ثالثا - يوجه البيان البكداشي انظار العرب الى كسب الراي العام العالمي الديمقراطي . اجل ان الراى العام العالمي قوة كبرى، ومن الضروري ان يدافع العرب عن « سمعتهم » ! ولا يجوز لهم ان يظهروا بمظهر « المنصريين النازيين الفاشست » .

ولكن ليست القضية هنا قضية نزعة عنصرية . ومهما ادعى البكداشيون ، فان المواقف « الانسانية » الرائعة التي ينادون بها لمعاملة اليهود الغزاة والتعايش معهم واقتسام الوطن واياهم ، ليست الا كالدعوة الى الاخاء السوفياتي - الالماني مثلا، عندما كان جيش الغزاة الهتلريين يدق ابواب موسكو ولننغراد وكورسك وستالنغراد الم يقرا بكداش واعوانه الكتابات التي كتبها الكسي تولستوي وسيمونوف وايليا اهرنبورغ ائنلم

الحرب العالمية الثانية ، والتي لم تكن تتحلى بالنزعة «الانسانية» الزائفة ، بل كانت تتحلى بروح الكفاح القومي الثوري المستميت ضد أعداء « الامة الروسية » والشعوب السوفياتية ، ضد اعداء الانسانية جمعاء !.. (١)

فما بال البكداشيين ، يضللون الشعب العربي في اخطر معركة من معاركه القومية ، ولم يمض على انتهاء الحرب العالمية عامان؟ يبدو ان التجربة التي قاموا بها في لواء الاسكندرونة ، في عامي ١٩٣٧ و ١٩٣٨ والتي دعوا فيها الى تآخي العرب والترك ، في الوقت الذي كانت فيه تركيا وفرنسا وجميع القوى الرجعية تتآمر لسلخ اللواء لم تكن كافية لادراك اخطائهم فجاءوا بعد عشر سنوات يعيدون التجربة ذاتها ، بأسلوب أكثر خسة واشد خطرا .

رابعا ـ ولكن اكثر ما يدهشني في هذا البيان الغريب عنوانه « قضية فلسطين ، قضية جلاء واستقلال وحرية » !!

اجل ان قضية فلسطين هي قضية جلاء واستقلال وحرية ، وكل عربي يعلم ذلك ولكن متى اكتشف خالد بكداش هذا الاكتشاف العظيم ؟؟

ان العرب يعلمون ذلك ، وقد برهنوا على علمهم عمليا ، منذ بداية الانتداب البريطاني في فلسطين . برهنوا عليه بالنضال العنيد الذي خاضوه ضد الانتداب في سبيل الجلاء والاستقلال والحرية والعروبة . وقدموا على مذابحه الآلاف من الضحايا .

---

(١) في شهر ايلول ١٩٣٩ وضع خالد بكداش ورفيق رضا ونقولا شاوي وفرج الله الحلو وارتين مادويان انفسهم وحزبهم في خدمة فرنسا المعتدى عليها من قبل المانيا ، واعلنوا استعدادهم للدفاع عنها في الخنادق مع الجنود الفرنسيين ، وتطوع ابراهيم بكري وبهجت قوطرش وغيرهم من كبار الحزبيين في الجيش الفرنسي ، ولكن ما من احد منهم دافع من عروبة فلسطين بل بالعكس !! (المؤلف)

اما خالد بكداش فقد تجاهل ان القضية هى « قضية جلاء واستقلال وحرية » ، عندما ارسل تقريره فى سنة ١٩٣٧ الى مؤتمر بلودان ، هذا التقرير الذى صرخ فيه كثيرا ، ولكنه سكت عن « قضية الجلاء والاستقلال والحرية » ، كما سكت جميع اعوانه عن هذه القضية آنذاك فقدموا بذلك اكبر خدمة للصهيونيين الذين تمكنوا من جلب عشرات الالوف من اليهود وتنظيم العصابات الارهابية والتشكيلات العسكرية خلال عشر سنوات متوالية .

والآن فى سنة ١٩٤٧ يسكت بكداش عن « الجانب » القومى فى المشكلة ..

فى سنة ١٩٣٧ ، يدعو بريطانيا « الديمقراطية » الى عدم تنفيذ مشروع التقسيم حرصا على مصلحة « الديمقراطية » . ويدعو العرب واليهود الى التآخى فى ظل الانتداب .

وفى سنة ١٩٤٧ ، يدعو الى « التعاون بين العرب واليهود » ضد بريطانيا الاستعمارية ، ويطالب بالغاء الانتداب .

ان خالد بكداش يجزىء الواقع ويسلط الاضواء على جزء منه ليخفى الجزء الآخر ، تبعا للمصلحة المؤقتة المحدودة والجزئية — بل تبعا لخطة معادية للعرب .

والحقيقة ان قول نصف الحقيقة واخفاء النصف الآخر عمدا هو ضرب من التزوير لا يقوم به الا الانتهازيون والعملاء والاتباع على اختلاف اشكالهم

ان خالد بكداش يوهم انصاره بانه ، بهذا السلوك ، انما « يوجه الحقيقة » لمصلحة البروليتاريا العالمية والتقدم الانسانى ، حتى ولو ضحى بمصالح شعبه معتبرا اياها مصالح جزئية ! — ولكن التاريخ قد اثبت دائما انه انما « يوجه الحقيقة » لصالح

اعداء العرب ولصالح الاستعمار العالمى .

هذا هو موقف خالد بكداش واعوانه من قضية فلسطين قبل موافقة الاتحاد السوفياتى على مشروع التقسيم .

والحقيقة ان البكداشيين كانوا بهذه الاساليب المضللة ، يعدون العدة للموافقة على مشروع التقسيم نفسه ، ويمهدون السبيل لاقتلاع كل معارضة لهذا المشروع فى صفوف الحزب والسير وراء موقف الاتحاد السوفياتى بدون أى نقاش - وهذا مافعلوه - الا ان هذه الاساليب لم تفدهم فى شىء .. فقد هبط عدد اعضاء الحزب الشيوعى على اثر المأساة الفلسطينية وما جرته للعرب من ٢٠ الف فى لبنان و ١٥ الف فى سوريا (عام ١٩٤٧) الى بضع مئات فى كلا البلدين (عام ١٩٤٩).

لقد قال لينين :

« ان الحركة الصهيونية فى جوهرها خاطئة ورجعية بصورة مطلقة ، وان فكرة القومية اليهودية ذات صفة رجعية سافرة لا بالنسبة لمعتنقيها فحسب ، بل وكذلك بالنسبة للذين يحاولون خلق انسجام بينها وبين الافكار الاشتراكية » .

وكذلك هاجم ستالين الصهيونية واعلن مرارا ان اليهود لا يؤلفون امة .

وقد ردد الحزب الشيوعى فى سوريا هذه الاقوال وتفاخر بها خلال سنوات عديدة ، و«عارض» مشروع التقسيم بينما مهد له واقعيا بطرق شتى .

ولكن ما ان ايد الاتحاد السوفياتى التقسيم حتى قلب خالد بكداش موقفه .

اعترف الاتحاد السوفياتى باسرائيل واعترفت بها دول الكتلة الشرقية وارسلت لها عددا من الرجال والسلاح .

وظلت مهمة خالد بكداش التبرير ثم التبرير .. الدفاع عن نفسه والهجوم على خصومه ، واتهام كل معارض بالانحراف والخيانه ، واطلاق استرة كثيفة من الدخان للتعميه ..

« الحكومات الرجعية العربية هي المسئولة . لقد عارضت الاتحاد السوفياتي الصديق حتى اللحظة الاخيرة ولم تخطب وده. صحيح ان اليهود ليسوا امة ولكنهم شعب له حق الحياة » .

ولكن هذا كله لايبرر شيئا . لايبرر موافقة الاتحاد السوفياتي على قيام وطن قومي لليهود في فلسطين .

فالحركة الصهيونية خاطئة ورجعية بصورة مطلقة . وفكرة القومية اليهودية ذات صفة رجعية سافرة الخ ..

هذا الكلام ذهب ادراج الرياح . ولكن الحزب نفسه ذهب ايضا ادراج الرياح . او كاد .

الفصل السادس

(١٩٥٨ ـ ١٩٥٩)

موقف الحزب من الوحدة

موقف الحزب من الوحدة . قرار اللجنة المركزية للحزب حول الاتحاد بين سوريا ومصر . خطة اللجنة المركزية بعد قيام الجمهورية العربية المتحدة . موقف اللجنة المركزية من الاستفتاء . خطة الحزب بعد الاستفتاء . مقال خالد بكداش في مجلة قضايا السلم والاشتراكية موقف القيادة المركزية من سياسة الحياد الايجابي والاصلاح الزراعي والدستور . نشاط الحزب الشيوعي في الاقليم السوري وفي العراق . خطاب الرئيس جمال عبد الناصر في بورسعيد . اعترافات زعماء الحزب الشيوعي ونهاية الحزب . ماهي الخصائص التاريخية للحزب الشيوعي في سورية ولبنان ؟ لماذا لم تكشف دوائر الاستخبارات الاستعمارية عن حقيقة الحزب عندما كانت تشن الحرب على الشيوعية في الشرق العربي ؟

**

كانت الوحدة مفاجأة تامة لخالد بكداش وتحطيما لاحلامه في المغامرة فلجأ الى كل الوسائل لمنع او عرقلة هذه الوحدة . واتخذت اللجنة المركزية للحزب قرارا عن « الاتحاد بين مصر وسورية » ، مضمونه كما يلي

اولا عنوان القرار بحد ذاته يوحي الناس بان الوحدة غير واردة اصلا ولا يمكن ان يفكر بها الا المجانين .

ثانيا : يبدا القرار بترداد الراي القائل ان الوحدة نتيجة تطور موضوعي . ويتجاهل دور الفكر والارادة والعمل الارادى . والقصد من ذلك تغطية الدور السلبي للحزب ، واستبعاد كل عمل ارادى حاسم من اجل الوحدة ، وترك تحقيقها للتطور الموضوعي العفوى وارجاءه لاجل غير مسمى .

واكثر من ذلك : ان بعض مسئولي الحزب احدوا يصرحون

ان العرب ليسوا امة مممسلةالمعالم ، اذ ينقصها الوحدة الاقتصادية ، ويجب انتظار اكتمال المعالم ..

ثالثا : يستعرض هذا القرار نضال الشعب السوري ونضال الشعب المصري . فيذكر الجلاء عن مصر وصد العدوان الاستعماري والانتصارات الاخرى التي حققتها مصر . ولكنه يغفل عمدا ثورة ٢٣ يوليو التاريخية التي لولاها لما تحقق انتصار واحد من الانتصارات المذكورة في القرار

وهذا التجاهل قد املته الخطة الجديدة ، خطة الدس على حكومة مصر وعلى ثورة ٢٣ يوليو . فالوحدة بين سورية ومصر هي ، الى حد كبير ، وليدة هذه الثورة والاشادة بالثورة لاتفيد هدف عرقلة الوحدة . والى جانب اغفال دور ثورة ٢٣ يوليو في القرار الرسمي العلني ، قام مندوبو اللجنة المركزية بدعاية واسعة في جميع المناطق ضد « الدكتاتورية » في مصر !

رابعا نوه القرار بان سورية بلغت مستوى من المعيشة يفوق مستوى غيرها من بلدان الشرق الادنى . وفي الوقت ذاته ، اعلن المسئولون الحزبيون للمنظمات وجوب التركيز على هذه الناحية لافهام الناس ان الوحدة « ستوحد » بين مستوى المعيشة في مصر وفي سورية ، فينخفض مستوى معيشة الشعب السوري لصالح الشعب المصري !!

خامسا : ركز القرار على « كيان سورية ومكانتها الدولية وسمعتها الطيبة » وتكررت هذه النغمة على صفحات جريدة النور مرارا ، لاسيما في العدد الصادر بتاريخ ٣٠ كانون الثاني ١٩٥٨ ، حيث ذكر خالد بكداش بالفقرة الواردة في القرار والتي تقول ان الاتحاد بين سورية ومصر يجب ان « يرفع مكانة كل من الجمهوريتين العربيتين المتحررتين في العالم ، ويوطد كيانهما ، ويزيد وزنهما في الحياة الدولية » . واكد وجوب المحافظة على الشخصية الدولية والتمثيل الخارجي لكل من البلدين ! (١)

---

١ ـ من الجدير بالملاحظة ان هذا القرار قد فرض من فوق ـ شانه شان سائر القرارات ، ولم يناقش ابدا في قواعد الحزب .

(المؤلفان)

الشعب ، فلا شك ان دوائر الاستخبارات الفرنسية والغربية لديهـا مجموعات ومجموعات كاملة .

اذا كان لدينا نحن بعض الوثائق فلا شك ان لدى الدوائر الاستعمارية كل الوثائق .

لقد كان الاستعمار الفرنسي يحكم سوريا . وجريدة صوت الشعب تذهب يوميا الى المفوض السامي الفرنسي .

بل اكثر من ذلك كانت سياسة الحزب قائمة على التعاون الوثيق الانتداب ... فهنالك وثائق ووثائق غير جريدة صوت الشعب!

فلماذا لم يكشف الاستعمار عن حقيقة بكداش واعوانه فى سنة ١٩٥٦ لو كان فعلا يريد تحطيمهم ؟

الحقيقة انه لايريد تحطيمهم . لانهم عملاؤه . انه يحافظ عليهم ويصونهم .

انهم « يهاجمونه » . لامانع . ولا باس . يجب ان يهاجموه كى ينموا رصيدهم .. حتى يدعموه بكل قواهم فى اللحظة الحاسمة .

ولم تتاخر هذه اللحظة .

جاءت الوحدة وجاءت ثورة ١٤ تموز . فوقف الحزب الشيوعى السورى (والعراقى) ضد الوحدة وضد ثورة ١٤ تموز .

انه مازال « يصرخ » ضد الاستعمار والصهيونية . لامانع . الصراخ مفيد ، لانه يغطى الالتقاء العملى الفعلى . فالمهم هو هذا الالتقاء ..

فهـــرست

		صفحة
مقـــــــدمة		٥
الفصـــــــل الاول ـ	المرحلة الاولى « الفجـر الاحمر »	٧
الفصـــــــل الثاني ـ	« المهـــد الوطنى » ـ السياسة العامة للحزب	١٥
الفصـــــــل الثالث ـ	موقف الحزب من قضية لواء الاسكندرونة	٢٧
الفصـــــــل الرابع ـ	موقف الحزب الشيوعى من معركة الجلاء	٣٩
الفصـــــــل الخامس ـ	موقف الحزب من قضية فلسطين	٥١
الفصـــــــل السادس ـ	موقف الحزب من الوحدة	٦٢

الثمن ٣ قروش